المورد

مجلة تراثية فصلية

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام - دار الجاحظ - الجمهورية العراقية

المجلد التاسع - العدد الأول - ١٤٠٠ - ١٩٨٠

1

WWW.ATTAWEEL.COM

أسماء الكتب المحمدة

قصائد نادرة من كتاب « منتهى الطلب من اشعار العرب »

تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن

الدكتور يحيى الجبـــوري

القسم الثاني

تحقيق الدكتـــور

يحيى الجبوري

كلية التربية ـ جامعة قطر

في الموسوعة الشعرية الكبرى « منتهى الطلب من اشعار العرب »(*) حفظ محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي قصائد نادرة اخلت بها الكتب وضيعتها الدواوين ، لمجموعة من الشعراء بين شاعر مفمور أو مقل أو شاعر معروف ضاع شعره ولم يبق له في المصادر غير قطع او ابيات .

وفي هذه القصائد ما في الشعر الجاهلي من ثروة لغويـة وادبية ، وفيها دلالات قوية على العصر والبيئة والحيـــاة الجاهلية . وكان ابن ميمون ـ فيما يبدو ـ يضع امامه دواوين الشعراء ودواوين القبائل ، فيختار منها عيون تلك الدواوين وجياد تلك القصائد ، فقد يلتقط من الديوان قصيدة او اثنتين، وقد يكثر فيختار اكثر شعر الشاعر . ولعله لم يجـــد لهؤلاء الشعراء الذين تعنى بهم في هذه الصفحات غير قصائد أو ابيات ضمن دواوين القبائل فيختار من ديوان القبيلة قصيدة لهـــذا واخرى لذاك ، وفق منهج رسمه لنفســه قوامه الجودة والنـــدرة والدلالة .

وفي هذين الجزءين من منتهى الطلب الثالث والخامس ، وفي الاخير خاصـة قصائد كثيرة لشـــعراء صغار او مقلين أو مجهولين ، وقد وجدت في هذه القصائد ثروة حقيقية وشـعراً جيداً رائعاً ، رغبت ان يطلع عليه اهل العلم والمعنيون بالدراسات القديمة في اللغة والادب والتاريخ والعلوم الانسانية ، فقد يفيدمنها اناس فيتناولونها بالدرس والفحص ، ولعلي من اولئـــك الاناس حين اجد فسحة من الوقت فاعود ثانية الى هذا الشـعر فاضم اليه ما حفلته المظان واشفعه بدراسة وتحقيق واخرج هذه اللاليء النادرة المتناثرة في سمط جميل يسر الناظرين .

عدي بن وداع

شاعر من الازد اعمى ، أو يلقب بالاعمى ، وفي شـــعره اشارات الى انه كان صحيح البصر ناصع العين في شبابه ، فلما ولى عهد الشباب صار يعمى بصره ويقصر بصاه . وهو احد المعمرين الذين ذكرهم ابو حاتم السجستاني في كتابه (كتـــاب المعمرين ص ٤٨) وبالغ في طول حياته فزعم انه عاش ثلثمائة سنة فادرك الاسلام واسلم وغزا ، وذكر له بيتا اسلاميا يقول فيه :

لا عيش الا الجنـة المكفرة من يدخـل النـــار يـلاق ضره

وذكر نسبه فقال : عدي بن وداع بن العقي ، الحارث بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عبدالله من الازد . ولا يختلف هذا النسب عما لدى ابن ميمون الا في العقي الذي سماه : اسد بن الحارث وليس الحارث .

واقتصر المرزباني (معجم الشعراء ص ١٨٥) على ذكر اسمه وقبيلته ولقبه فقال : عدي بن وداع الازدي الشاعر الاعمى . وسكت عما دون ذلك .

---

* انظر حديثا عنه وفهرسا لشعرائه وشعره في مجلة البلاغ العددين الخامس والسادس سنة ١٩٧٥ .

للشاعر عدي بن وداع قصيدتان : الاولى لامية تقع في خمسةوستين بيتا لا تخلو من مشاكل عروضية ، تدور القصيدة حول الغزل والفخر والحماسة والوصف وذكر الموت ، وتتداخل هذهالاغراض بشكل حديث ذاتي او حوار بينه وبين حبيبته ، وينطلق من هذا الحوار الى الحديث عن فتوته وقوته وخصاله الفذة فيالشجاعة والسماحة والكرم .

يستهل القصيدة بذكريات الشباب والصبا حين كان ذاعقل وصحة ، ولم يكن بصره قد كلّ ، ولذلك فهو يتغزل بفتاة ازدية جميلة مترفة عليها السموط وقد لبست المجول كانها ظبيةتطفل ترعى نبات السلم ، ويحقق شخصيتها فهي ابنة كعب بن صليع ، ثم يجري بينهما حديث حول ارض الحفافين ، يبدو انهكان عليه نزاع بين اسرتيهما ولذلك فهو يخيرها حسما للامر بامور هي العبد او البكرة الزهراء او المناصفة ، ثم يذكر لهاتعلقه بها وحبه لها ، وقد غدا رجلا عاجزا كف بصره لا يفرق بين غاد ومقبل ، فهو رجل مهمل ضائع بين الناس ميت بين الاحياء ،فاولى بها ان تتصله وتدنيه ، وهو حقيق بودها ورعايتها ، وهي تعلم اي رجل هو اذا ارمل الناس ، واي بطل هو اذا نزلتالمصيبة كيف كان يثيرها حربا كالنار او الغابة المشعلة . ويستطرد في اوصاف وتشبيهات الى ذكر المطر والسحاب والبرق والرصد،ويصور هول الحرب وما ينزل بالناس من الخوف والفزع ، ويقف عند وصف سيفه فهو (سيف ابن نشوان) الذي سقاهالصقيل وجلاه فاحسن صنعه وجلوته ، وبهذا السيف يحمي عورة الصحبان ويبلو مر البلاء ، وهو يعلم بان مصير الانسانالموت فنهاية الفتى قتل مشرف او قبر دارس .

ويستطرد الى وصف راحلته ، ويدقق في هذا الوصف ويقفعند جزئيات من جسم الحيوان كما وقف طرفة في معلقته يتامل في جسم ناقته ويصفها عضوا عضوا . ثم يغادر الحيوان الىوصف فتى اروع ماجد كريم لاشك انه يريد به ذات نفسه ، حيث تتمثل به كلسمات البطولة والرجولة والشجاعة والحلموالكرم ، والملاحظ انه يلح على ذكر حاله عند مفارقة الصبا ووقوعه اسيرا للشيب والهرم . ولا تفارقه ذكريات الشباب ايامكان يصبي الغواني ويغازل الفتيات المترفات . ويشير الى عبد اسود خالط راسه بعض الشيب جاء بجارية يعرضها في سوقالنخاسة ويذكر ان هذا العبد قطع بها البحر على سفينة قرواء مدهونة ذات قلاع تصارع لجج البحر .

ويعرج عدي عند خلوة للذبذة مع احدى حبائبه بعيدين عناعين الرقباء ، والفتاة بطبعها خائفة مذعورة حريصة على الا يطلع على سرهما احد فيبطش بهما ذووها واهل الحسد من الرقباء .وينهي القصيدة بوقفة عند الموت ومصير الانسان الذي سيحمل يوما على آلة تنقله الى حفرة بالية هي قراره وقرار كل انسان .

١ ــ جاء في منتهى الطلب الجزء الخامسالورقات ١٣١ــ١٣٣ .

وقال عدي بن وداع احد بني عقى وهو اسدبن الحارث بن مالك بن فهم احد الازد وكان يلقب الاعمى ولم يكن اعمى :

١ ــ كلّفني القلبُ فلم أجْهَلِ عهدَ الصِبَا في السَّالِفِ الأولِ
٢ ــ أزمانَ إذْ أملِكُ عقلي وإذْ طَرْفِيَ لم يَخْسَأْ ولم يَكْلَلِ
٣ ــ أرى ابنةَ الأزدي قد أقبلَتْ بينَ سُمُوطِ الدرِّ في المِجْوَلِ
٤ ــ كالظبيةِ الفَارِدَةِ انخاذِلِ المَخْرُوفَةِ المُقْفِرَةِ المُطْفِلِ
٥ ــ ظَلَّتْ تعاطَى بخَلاءٍ من الـ أرضِ شُجُونَ السَّلَمِ المُهْدَلِ
٦ ــ يا ابنةَ كعبِ بنِ صُلَيْمٍ الاَ تَسْتَيْقِنِي إنْ كنتِ لم تَذْهَلي
٧ ــ قالتْ أَلا لا يُشْتَرى ذاكمُ إلاّ بِرُغْبِ الثَّمَنِ الأجْزَلِ
٨ ــ إنْ تُعْطِنَا سَطْرَ الحِفَافَيْنِ مقـ ـطوعاً لنا بَتّاً إذنْ نفعَلِ
٩ ــ إنَّ الحِفَافَيْنِ عَقَارُ امرىءٍ يمنَعُه الضَّيْمُ فلا تَجْهَلِي
١٠ــ مالُ امرىءٍ يَخْبِطُ في الغَمرةِ الـ ـقِرنَ غَداةَ البَأْسِ بالمُنْصُلِ
١١ــ إنْ كنتِ تَسْتَأْسِينَ لابدَّ فالـ ـمعروفُ منّا أُخْتَنَا فاسْأَلي
١٢ــ العبدَ أو بكرتَنا الحرَّةَ الزَّهْراءَ أو منصِفَةَ النَّزَّلِ
١٣ــ طِبْنَا بهذا لكِ نَفْساً فإنْ تَرْضَيْ بهِ عنّا إذنْ فافْعَلي

١٤ـ بعضَكَ يا وجدَ امرئٍ شقَّه الحبُّ فلم يفرُغْ ولم يشتغلِ
١٥ـ أعسَى على حالٍ من الحالِ لا يشعرُ ما النائي من المقبلِ
١٦ـ لو كنتِ قد أدنيْتِني الودَّ ما ألفيتُ مثلَ الضمنِ الزُمَّلِ
١٧ـ أودَيْتُ في المودِينَ إنْ كنْتِ في الأحياءِ كالمنسيِّ لم يحفَلِ
١٨ـ وسائِلي القومَ إذا أرملُوا والمعتفِي والصحْبَ بي فاسْألي
١٩ـ أيُّ فتىً أعسَى عدِيٌّ إذا ما باشرَ الكيْدَ على التلْتلِ
٢٠ـ قد أشْخَذْ الصحْبَ الى موطنٍ يكلحُ منهُ ناجِذُ المصْطلي
٢١ـ ضَرْبَ سيوفِ الهندِ صقْعاً كما يشْعَلُ غابُ الحرَقِ المشْعَلِ
٢٢ـ او كقَصيفِ البرَدِ الصيِّفِ الـ ـمُبْعَقِ في الظاهرِ ذِي الجزْوَلِ
٢٣ـ جَرَتْ بهِ دلوٌ قِرىً على أدراجِها من باكرٍ مسْبِلِ
٢٤ـ من عارضٍ جوْنٍ رُكامٍ وَهَتْ عزْلاؤُهُ منهزِمِ الأسْفَلِ
٢٥ـ يحْفِزُهُ رعْدٌ وبرقٌ على أرجائِهِ مرتجِزُ الأزمَلِ
٢٦ـ حتَّى ترى القتلَى لدَى مزْحَفٍ كالقِرَبِ الوفْرِ لدَى المنْهَلِ
٢٧ـ حينَ يقولُ النجْدُ من رَهْبةِ الـ ـموتِ أرى الغمْرةَ لا تنجَلي
٢٨ـ سيفُ ابنِ نَشْوانَ بكفِّي وقدْ سقَاهُ شهراً مِدْوَسُ الصيْقَلِ
٢٩ـ أخضرُ ذو زِرَّيْنِ يُسْقَى سِمَا مـاً فإذا أُرهِفَ لم ينْحَلِ
٣٠ـ أحمي بهِ فَرْجَ سَلُوقيَّةٍ كالشمْسِ تَغْشَى طرَفَ الأثْملِ
٣١ـ إنْ كنتُ أعمى فاسألي القومَ هلْ أسكِنُ رَوْعَ المرْءِ ذي الأفْكَلَ
٣٢ـ أضْرِبُ في العَوْرَةِ ما فِيَّ إنْ أُخْضِمْتُ أو أُقضِمْتُ لم آتَلِ
٣٣ـ أعلمُ أنْ كلُّ فتىً مُرَّةً للقتْلِ أو بيْتٍ من الجنْدَلِ
٣٤ـ ذلكَ مكروهي ورَوْغِي فبَانْ أُحْمَلْ على الثقْلَةِ لا أُثْقَلِ
٣٥ـ مِمَّا يَنُوبُ الحيَّ فيهم وقدْ أجْتَازُ بالمُبْتَقِلِ المُعْمَلِ
٣٦ـ السابِقُ المُخْتَالَ بالكُورِ والـ ـأعْلامِ نَوْحَ الفاقِدِ المُعْوِلِ
٣٧ـ يَنْجُو من السوْطِ كما تجدِمُ الـ ـقَيْدُودُ من وَهْوَهَةِ المِسْحَلِ
٣٨ـ شَرَّدَها زَرٌّ بِلَحْيَيْهِ من أعْرَافِها والشعَرِ المُنْسَلِ
٣٩ـ صَايِفَةٍ وَحْمَى تصَدَّى لهُ كالقَوسِ من فَارِعَةِ الأشْكَلِ
٤٠ـ ترهِقُهُ ضَرْباً وتَنْجُو على وحْشِيِّهَا قَارِبَةَ المَنْهَلِ

٤١ـ قَدْفَكَ بالقِدْحِ من السَّاسَمِ الـ أجْـرَدِ قِـدْحَ الصَّنَعِ المُعْتَلي
٤٢ـ حتَّى يَحُورَ النَّيءُ منـه الى عظمِ سُلامَى سَلِسِ المفصَـلِ
٤٣ـ بين رَذِيٍّ الرَهَبِ المُقْصَدِ الـ مُخِّ المُبَـارِي خَـدَمَ المُنْعَـلِ
٤٤ـ يملأ لنابَيْـهِ صَـريفٌ كَمـا غَرَّدَ صَـوتُ الصُّرَدِ الصَّلْصَلِ
٤٥ـ واللهِ واللهِ لَهَـ ـا الفَتَى كـانَ لِزَازَ الزَّمَـنِ المُمْحِـلِ
٤٦ـ للجَارِ والضَّيْفِ وباغِي النَّـدَى حـينَ يُبَـاري خُلُقِي أخْيَلِي
٤٧ـ أروعُ وشْـوَاشٌ قليـلُ الخَنَـا صُلْبٌ مُشَاشِـي صَنَعٌ مِقْوَلي
٤٨ـ يُوْنِسُ مَعْروفي نَزِيلي وقَـدْ أُخْرِجَ ضَبُّ الخَصِمِ الأجْـدَلِ
٤٩ـ في الجِـدِّ إذْ جَـدَّ شِياحِي وإذْ أصواتُ يومِ الجَمْعِ لم تَصْحَـلِ
٥٠ـ إنْ يَصْدِفِ الأتْرابُ عنِّي فقَدْ أخْدَعُ مثلَ الرَّشَأِ الأكْحَـلِ
٥١ـ كدُرَّةِ الغَـايصِ تُهـدَى الى ذِي نَطَفٍ في غُرفَـةِ المِجْـدَلِ
٥٢ـ جَاءَ بهـا آدَمُ صُلْبٌ أحَصُّ صُ الرأسِ فيه الشَّيْبُ لم يَشْمَلِ
٥٣ـ لمَّـا أنتضَـاها موقِنٌ أنَّـهُ إنْ يَبْلُغِ السُّوقَ بها يَجْـذَلِ
٥٤ـ شَيَّـعَ في قَرْواءَ مَدْهُونَـةٍ ذاتِ قِلاعٍ صُعُـداً تَحْتَلِي
٥٥ـ تختصِمُ اللُّجَّـةُ في العَـوْطَبِ ذي التَّيَّـارِ والجَلْجَـلِ[1]
٥٦ـ بَشَّـرَ أصحَـاباً لـهُ أنَّهـا تَجْبُرُ فَقْـرَ البائِسِ الأرْمَـلِ
٥٧ـ قالَتْ وقد كُنَّـا على موعِـدٍ وَيْلَـكَ إنْ يُـدْرَ بنا نُقْتَـلِ
٥٨ـ أخشَى عليكَ اليومَ من مَصْعَـةٍ خَدْبَاءَ من ذِي هَبْـةٍ مِقْصَـلِ
٥٩ـ بكَفٍّ غَيرانَ نَهِيـكٍ من الـ قَوْمِ كصَدْرِ السَّيْفِ لم يَنْكَلِ
٦٠ـ عندَكِ شَعْبٌ من فُؤادِ امرىءٍ ما بـهِ عنكِ اليـومَ من مَزْحَـلِ
٦١ـ إنْ تَبْذُلي السِّودَ فتَشْفِي بـهِ القلـبَ وانْ خِفْتِ فلا تَفْعَلِي
٦٢ـ لشائنيـكِ الوَيْـلُ إنْ تَبْذُلِي أُغْتَلُ وشَـرٌّ لـكِ أنْ تَبْـذُلي
٦٣ـ يُصبحُ جَـذْمَاناً على آلَـةٍ يَعْرِفُهـا الآخِـرُ لِلأوَّلِ
٦٤ـ تَعاقَبُ الأسْـرى ودَورُ الرَّحَى وتَالِفٌ إنْ هـوَ لم يَعْتَـلِ
٦٥ـ أو لـم يُفِـدْ أعقَابُكمْ قَضِيَّةً مثلَ وَحِيِّ الصَّخْرِ لم تَخْمُـلِ

---

(١) كذا ورد البيت وفيه نقص وخلل .

اما قصيدة عدي بن وداع الثانية ، فتقع في سبعة وثلاثين بيتا ، وهي جاهلية البناء والاسلوب والاغراض ، يبدؤها متغزلا بحبيبته (لهو) التي بدا منها صد وفراق ، ثم يوجه الحديث اليها واصفا لها خصاله وفتونه وجلده ونباله في مجالدة الخصوم، فهو شديد الكيد صبور على البلوى يخوض الغمرات عزيز في قومه يدخرونه للملمات ، وهو فيهم كريم سمح حسن السودة شديد الحرص على اكرامهم ، وهو مع لينه وسماحته مع قومه ،فهو خصم عنيد شديد مع اعدائهم ، فلرب خصم قد اذله وهضم حقه ، اما الجار فهو بواسيه ويبره ويوفيه حقه من العناية والاكرام .

والد حديث لديه حديث النساء الحور المترفات ، فقد نعم بمودتهن ووصالهن ، وهن مترفات لذيذات المذاق بيض نواعم مشرقات الوجوه زاهيات الخدود عليهن الطيب والزعفران ،ويقف متانيا عند جمال خدودهن وخصورهن وابشارهن ، فيصف ويشبه ويجود في ابراز المفاتن وايضاح المحاسن ، حتى اذا ارضى نزعته في الغزل غادر ذلك فركب فرسه وسار في الروج الخضر الزاهية التي سقاها الغيث وانبتها الحيا ، يبغي الصيد معه فتية من صحابه فاذا بشياة ترعى فينطلق على فرسه اللبي سرعان ما صار وسطهن وعادى بينهن ، وما هي الا برهة حتى عاد بالصيد وصار الصيد بعقله شواء لذيذا ، ونراه بعقله يعتني بوصف مجلس اللهو مع ندمان يدور عليهم شراب وتسمعهم مغنية صدوح ويطرف عليهم سقاة وللمجلس آدابه واخلاقه فهو يشيد بسلوك نديمه وكرمه .

وينهي قصيدته بحكمة ازلية بان كل شيء الى بلى وفناء، وتبقى راسيات الجبال ورمالها .

٢ ــ جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين ١٣٣ ــ ١٣٤ .

وقال عدي ايضا

١ ــ أرى لَهْواً تعَرَّضَ للفِراقِ ... وبَيْناً بعدَ بَيْنٍ واتِّفاقِ
٢ ــ لعلَّكِ إنَّما تَدرينَ لومِي ... وعَذْلي إنْ قَدَرْتِ على النِفاقِ
٣ ــ فقدْ يأتِي عليَّ أوانُ حِينٍ ... وعِرْسِي ما تعَرَّضُ للطَّلاقِ
٤ ــ ولكنْ قد يَسُرُّ ويتَّقِيني ... بجَهْدِ الوُدِّ مُغْضَبَةَ الرِّواقِ
٥ ــ فتى الفِتيانِ لولا يَعْتَقِيني ... عن الأهواءِ جَدِّي بالعَواقِي
٦ ــ فأمَّا أمْسِ مُرتَهِناً أسيراً ... على العَينينِ مسدودَ الوَثاقِ
٧ ــ أسيرَ الجِنِّ لا أرجو فَكاكاً ... طُوالَ الدَّهرِ محفُوظَ الأباقِ
٨ ــ ولو انِّي أرادَ لقلتُ قِرنٌ ... أرادَ عَداوتي حَرَجٌ مُلاقِ
٩ ــ واحفَرَهُ العَداوةَ من قَريبٍ ... بضَرْبٍ بينَه وَقَدٌ أحْتِراقِ
١٠ــ وكنتُ فتىً أخَا العَزَّاءِ فيهم ... لرهطِي لو وقَى العَينينِ واقِ
١١ــ تُعَظَّمُ نَدْوَتي فيهم وأثْني ... مودَّتَهم بأخْلاقٍ رِمَاقِ
١٢ــ إذا ما ألْزَنوا ولقد أنَادي ... لعافِيهم بِنَاحِيَةِ الحِقَاقِ
١٣ــ وصَادرةٍ معاً وثَنيتُ وِرْداً ... لها مِنَحٌ نواشِكُ باتِّفَاقِ
١٤ــ نَزَعْتُ لها رَهابةَ مُقْرَماتٍ ... يُلِحْنَ بوفرِ منتَهكِ الغِلاقِ
١٥ــ وقَومي يعلمونَ لَرُبَّ يومٍ ... شَددتُ بما أَلَمَّ بهِ نِطَاقي
١٦ــ وأدفعُ عنهمُ والجُرْمُ فِيهِمْ ... دَخيسَ الجمعِ بالكَلِمِ انسِّلاقِ
١٧ــ وخَصْمٍ قد لوَيْتُ الحقَّ فيهِ ... قَرائنُهُ تنازعُ بالشِّقَاقِ

١٨ـ وجارٍ قد أُواسيهِ بنفسي ... ووِسْعي أن يَبينَ عن لِلِّزاقِ
١٩ـ وحُورٍ قد خَزَرْتُ لهن طَرْفي ... لذِيذاتِ المَوَدَّةِ والعِناقِ
٢٠ـ يَدُقْنَ الزعفَرانَ على خُدودٍ ... نواعمَ لا كَلِفْنَ ولا بِهَاقِ
٢١ـ كأنَّ وجُوهَهُنَّ مُتُونُ بِيضٍ ... جَلَتْهَا الشمسُ في ذَرِّ الشُّراقِ
٢٢ـ لَذِيذاتِ الشبابِ مُخَصَّراتٍ ... مخاصِرُهُنَّ في نشزٍ رِقاقِ
٢٣ـ وقد أغدو بمنشَقٍّ نَسَاهُ ... جَوادٍ في المَحَثَّةِ والنِّزَاقِ
٢٤ـ لِغَيْثٍ يجتَبُ الرُّوَّادُ عنهُ ... يُبَارِي الريحَ بالعُشُبِ السُّماقِ
٢٥ـ وبَثَّ بهِ من الوَسميِّ غَيْثٌ ... مَرادَ العَيْنِ منفرقَ البِساقِ
٢٦ ـ تقدَّمَ رابِئٌ فاذا شِياهٌ ... يَدُسْنَ حديقَ سُلاَّنِ البِرَاقِ
٢٧ـ فأرسَلَهُ وقد غَرَّبْنَ شَأْواً ... بهن تَواشُكُ الشَّدِّ المِزَاقِ
٢٨ـ كأنَّ مجامِعَ الهُلْبَاتِ منهُ ... وهَادِيَهَا لِيعادٍ وِفَاقِ
٢٩ـ فأرخَيْتُ القَنَاةَ ويزَنِيّاً ... على الأكفالِ بالطَّعْنِ المُعَاقِ
٣٠ـ فعادى بينهنَّ وهُنَّ رَهْوٌ ... يَمِلْنَ على مُسَمَّحَةٍ ذِلاقِ
٣١ـ فأدَّاها اليَّ ولم يَرِثْهَا ... ثُواقاً أو أقلَّ من الفُوَاقِ
٣٢ـ وأدَّانَا المَقِيلُ الى شِوَاءٍ ... يُطَأطِئُ أنفُسَ القومِ الدِّهَاقِ
٣٣ـ بفتيانٍ ذَوي كَرَمٍ أعَاذُوا ... وَقِيذَهُمُ بشِبْعٍ واعتناقِ
٣٤ـ ونَدْمَانٍ رهَنْتُ لهُ بِرِيٍّ ... وراووقٍ ومُسْمِعَةٍ وساقِي
٣٥ـ كَرِيمٌ لا يُشَعِّثُنِي إذا ما ... نَفَنَّهُ الكأسُ بالسُّكْرِ المُسَاقِي
٣٦ـ أقَامَ لدى ابنِ محْصَنَ عامِلات ... من الأمثَالِ والكَلِمِ البَواقي
٣٧ـ أرى الأيَّامَ لا يبقى عليها ... سِوى الأجبَالِ والرَمْلِ الرِّقَاقِ

حاجز بن عوف الازدي

شاعر جاهلي مقل من شعراء اللصوص المغيرين المدائين ،من الغربة العرب سرى اليه السواد من امه(١) ، له في منتهى الطلب قصيدتان من غرر الشعر الجاهلي وعيونه ، وهما وثيقتانمن وثائق شعر الصعاليك ، شعر البطولة والفروسية وانانشيد الصحراء ، ولم ترد هاتان القصيدتان في ترجمته التي حفظها ابوالفرج(٢) ولا في غيره من المصادر .

دون ابن ميمون نسبه فقال : حاجز بن عوف بن الحارثابن الاخشم بن عبدالله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج ، وهو مطابق لما ذكره ابو الفرج ، وقد وصل ابو الفرج نسبهبالازد فقال : مفرج بن زهران بن زهران بن عوف بن عيدعان بن مالك بن نصر بن الازد(٣) .

---

(١) تاج العروس (غرب) .
(٢) الاغاني ١٣/٢٠٩-٢١٧ .
(٣) السابق ١٣/٢٠٩ .

وذكره ابو الفرج في مواضع اخرى من كتابه(٤) باسم حاجز بن ابي ، ويوهم ذلك بانه حاجز اخر ، ولكن ابا الفرج يكرر ذكره باسم حاجز بن ابي ويذكر انه بجيبه نابط شرا على قصيدته التي اولها(٥) :

ترجي نساء الازد طلعة ثابت أسيرا ولم يمدرن كيف حوبلي

ويذكر انه بجيبه بقصيدة يثبت منها شعرا هو مطلع القصيدة الاولى في منتهى الطلب ويقول انها في شعر الازد :

سألت فلم تكلمني الرسوم

وهنا يزول اللبس بان حاجز هذا هو حاجز بن عوف نفسه احد صعاليك الازد ، وان الاسمين لرجل واحد .

لا نطمع ان نعرف عن الشاعر معلومات وافية ، فما ذكره ابو الفرج في اخباره ان هي الا نتف واشارات لا تغني شيئا ، وفي القطعات التي اختارها له لمحات لجوانب من حياته ، فمن ذلك فخره بقريش، لان الازد كانوا حلفاء بني مخزوم القرشيين ويشيد حاجز بهذه الصلة فيقول(٦) :

قومي سلامان اما كنت سائله وفي قريش كريم الحلف والحسب

اشتهر حاجز بشدة عدوه وسرعة جريه ، وهذا داب الصعاليك ، فاكثرهم عرف العدو كنابط شرا والشنفرى والسليك بن السلكة ، وقد رويت عن حاجز اعاجيب ، فقد روى عن ابيه عوف بن الحارث الازدي انه قال لابنه حاجز : اخبرني يابني باشد عدو لك ، قال : نعم ، افزعتني خثعم فنزوت نزوات ،ثم استغزتني الخيل واصطف لي ظبيان ، فجعلت انهنهما بيدي عن الطريق ، ومنعاني ان اتجاوزهما في العدو لضيق الطريق حتى اتسع واتسمت بنا فسبقتهما(٧) . وقد كان قومه يفيدون من سرعة عدوه فيجعلونه بريدا سريعا حين ينذرون بالخطر اويريدون الامساك باحد خصومهم العدائين ، وقد كان عدوه هذا سببا في نجاته من شراك الاعداء ، وكان يفيد منه في انذار قومه حين يراد بهم او يغار عليهم ، او ينبئهم بقافلة لاستلابها(٨) ، وكان قومه يطلقونه خلف خصومهم من الفتاك واللؤبان املا في قتلهم او اسرهم ، وكثيرا ما كمن حاجز لنابط شرا يريد الامساك به فينجو(٩) .

وعلى الرغم من ان حاجزا ليث من ليوث الازد سريع(١٠) ،فانه لم يكن يلحق بنابط شرا على كثرة ما كان يحاول هو وفتيان من قومه ، فقد كان نابط شرا كثيرا ما يغير على الازد ويسوق ابلهم ، خرج يوما يريد الغارة عليهم ، فنذرت به الازد ، فاهملوا له ابلا وامروا ثلاثة من ذوي باسهم : حاجزا وسواد بن عمرو وعوف بن عبدالله ، ان يتبعوه حتى ينام فياخذوه اخذا ، فكمنوا له مكمنا ، واقبل نابط شرا فطرد الابل ثم ساقها والقوم ينظرون اليه ، ولكنه حاذر فطن ، فساق الابل اياما وليالي والقوم يتابعونه دون ان يراهم ، ثم عقل الابل وصنع طعاما فاكل وهيا مضجعا على النار ثم اخمدها ، وزحف على بطنه ومعه قوسه حتى دخل بين الابل ومكث ساعة وقد هيا سهما على كبد قوسه ،فلما احسوا نومه اقبلوا ثلاثتهم يؤمون الهاد الذي راوه هيأة ، فاذا هو يرمي احدهم فيقتله ، ثم يقتل الثاني ، واقلت حاجز هاربا ، واخذ سلب الرجلين وعاد الى قومه وهو ينشد(١١) :

ترجي نساء الازد طلعة نابت اسيرا ولم يمدرن كيف حوبلي
فان الالى اوصيتم بين هارب طريد وموفوح الدماء قتيل

ويذكر قصة هذه المغامرة وكيف احتال عليهم ، حتى يذكر حاجزا بقوله :

وظل دعاع المتن من وقع حاجز يخر ولو تهنهت غير قليل
لايت كما ابنا واو كنت فارنا لجئت وما ءالكت طول ذمياي

وكان حاجز قد اجابه بقصيدته الميمية التي ذكر ابو الفرج صدر مطلعها فقط واشار الى انها في اشعار الازد :

سألت فلم تكلمني الرسوم فظلت كانني فيها سقيم

وهي من بحر الوافر والقافية ميم مضمومة ، وكذلك رد عليه نابط شرا على الوزن نفسه والقافيه ورويها(١٢) :

لقد قال الخلي وقال خلسا بظهر الليل شد به الصكوم

وكان حاجز كثير الغارة ، واكثر غاراته على قبيلة خثعم ،فكان يصيب منها ، وكانت خثعم تتوعده وترصده(١٣) ، ولذلك فهي حريصة ان تظفر بحاجز وتقتصه ، اغارت خثعم يوما على بني سلامان وفيهم عمرو بن معدكرب ، استنجدت به خثعم ، فالتقوا واقتتلوا فطعن عمرو بن معدكرب حاجزا فانفذ فخذه،فصاح حاجز : يا ال الازد ، فندم عمرو وقال : خرجت غازيا وفجعت اهلي ، وانصرف ، فقال شاعر من خثعم هو عزيز الخثعمي يذكر طعنه عمرو حاجزا :

---

(٤) الاغاني ٢١/١٥٣ ، ١٥٥ في اخبار نابط شرا .
(٥) السابق ٢١/١٥٣ .
(٦) السابق ١٢/٢٠٩ .
(٧) الاغاني ١٣/٢٠٩ .
(٨) السابق ٢/٢١٢ .
(٩) نفسه ٢١/١٤٨ .
(١٠) نفسه والصفحة .
(١١) نفسه ٢١/١٥٣-١٥٥ .
(١٢) نفسه ٢١/١٥٥ .
(١٣) الاغاني ١٢/٢١٢ .

اعجز حاجز منا وابه مشلشلة كحانية الازار
فمز علي ما اعجزت مني وقد اقسمت لا ضربك ضار

فاجابه حاجز من ابيات :

ان تذكروا يوم القرى فانه يواء بايام كثير عديدها

ويروي ابو الفرج قصة فيها دلالة على شدة بلاء حاجز وماكان يوقعه في خثعم وحرصهم على البطش به أو اسره ، ويبلغ الحرص بهم على وقوع حاجز في قبضتهم حدا تتدخل فيه الاسطورة ، ففي رواية عن ابي عمرو قال : بينما حاجز في بعض غزواته اذ احاطت به خثعم ، وكان معه بشير ابن اخيه ، فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ قال : دعهم حتى يشربوا ويقفلوا ويمضوا ونمضي معهم فيظنونا بعضهم . ففعلا ، وكان في سال حاجز شامة ، فنظرت اليها امراة من خثعم ، فصاحت : يا ال خثعم ، هذا حاجز . فطاروا يتبعونه ، فقالت لهم عجوز كانت ساحرة : اكفيكم سلاحه أو عدوه . فقالوا : لا نريد ان تكفينا عدوه فان معنا عوفا وهو يعدو مثله ، ولكن اكفينا سلاحه . فسحرت لهم سلاحه وتبعه عوف بن الاغر الخثعمي ، حتى قاربه، فصاحت به خثعم ، ياعوف ارم حاجزا . فلم يقدم عليه وجبن ،فقلبوا وصاحوا : يا حاجز ، لك الذمام ، فاقتل عوفا فانه قد فضحنا . فنزع في قومه ليرميه ، فانقطع وتره ، لان المراةالخثعمية كانت قد سحرت سلاحه ، فاخذ قوس بشير ابن اخيه فنزع فيها فانكسرت ، وهربا من القوم فاتاهم ، ووجد حاجزبعيرا في طريقه فركبه فلم يسر في الطريق الذي بريده ونحا به نحو خثعم ، فنزل حاجز عنه فمر فنجا(١٤) .

وهكذا كان ينجو من المهالك بفضل ساقيه العجيبتين ،ولذلك فهو يفديهما عندما ينجو بامه وخالته على شاكلة قوله :

فدى لكما رجلي امي وخالتي بسميكما بين الصفا والاثائب

ولم تكن غارات حاجز لتقتصر على خثعم وحدها ، بل كانتتشرق وتغرب فتشمل بني عامر بن صعصعة ، وكانت غارته هذه انتقامية ، اذ تعرض بنو هلال بن عامر بن صعصعة لقوم من الازدكانوا حجاجا ، فقتلوهم ، وكان الذي قتلهم ضمرة بن ماعز سيد بني هلال وقومه ، فجمع حاجز لهم جمعا واغار عليهم فقتل فيهموسبى منهم .

ولابد لكثرة هذه الثارات في القبائل والترات في الاقوامان يحرص حاجز على النجاة وان يفر من الموت حين يحيق به ، وقد لاحظ القدماء ان حاجزا مع غاراته كثير الفرار(١٥) ، فر منبني عامر فهرب منهم ونجا ، وفر من خثعم وتبعه الرقع الخثعمي ففاته حاجز ، وكان حاجز يشيد بفراره هذا ونجاته من كيدخصومه من غير ان يداهن ويداري فقد كان يقول :

الا هل اتى ذات القلائد فرتي عشية بين الجرف والبحر من بعر

وقد اختار البحتري ثلاث قطع لحاجز في الفرار في باب :(فيما قيل في الفرار على الارجل)(١٦) وهو لشدة عدوه وسرعة فراره يشبه نفسه بالظبي الهارب من الطيور الجارحة ، اوالارنب او الوعل يطارده صياد .

ومن الطبيعي وحياة حاجز غارة وطراد ، وحرب واقتناصان يتوقع اهله هلاكه في هذه الصحراء المضلة والرمال المهلكة ، فقد خرج في بعض اسفاره فلم يعد ولا عرف له خبر ، فكانوايرون انه مات عطشا او ضل ، فقالت اخته ترثيه(١٧) :

اخي حاجز ام ليس حيا فيسلك بين جندف والبهيم
ويشرب شربة من ماء نبع فيصدر مشية السبع الكليم

* * *

ونعود بعد هذا الى قصيدتي حاجز النادرتين اللتين انفردبهما الجزء الخامس من منتهى الطلب ، ثم نضم بعد ذلك شعره الذي حفظه كتابا الاغاني وحماسة البحتري ، ففيه دلالات علىحياته ، وذخيرة تنفع الدارسين .

القصيدة الاولى ميمية وعدة ابياتها سبعة وعشرون بيتا ،يبدؤها بمساءلة الديار التي غدت رسوما مهجورة ، يحدد مكانها ويسمي موقعها ، وهذه الديار هي ديار حبيبته الخود المذبةالاثياب التي ليس لها مثيل في بنات الناس ، وينخلع من مناجاة حبيبته وانصرافه عنها لغير بغض وسيلة الى الحديث عنفروسيته وحروبه ، ويذكر في هذه القصيدة الوقعة التي جرت بينهم وبين تابط شرا ومن معه ، فهي رد على قصيدة لتابط شراالذي كان يفخر بانه فات حاجزا واوقع في بني سلامان قوم حاجز ، ولذلك فهو يعد نفسه للحرب ويذكر ما كان من امرالوقعة السابقة ، وقد قتلوا رجلا سماه من بني فهم ثارا لقتيل قتلته فهم قبيلة تابط شرا ، وهو يفخر بهذا الثار ، فالموتورمستبسل لابد ان يدرك بثاره (وخير الطالب الترة الغشوم) ، ونراه يستخدم في تصوير الغارة التي اغارها صورا رائعة سريعةمدهشة فهي (مثل ولغ الذئب) وان الموت فيها موشك ان يقع فيتخطفه .

وبصف توجهه الى ارض المعركة وصف عسكري بعرفالارض التي يقاتل فيها ، ويحدد مكانها ومكان الوثوب على الاعداء ، وقد قدم بين يديه اثنين من جنود الاستطلاع يرقبانالعدو ، فاخبره الرابئان بحقيقة المكان وطبيعته ، فقد بدت

(١٤) السابق ١٢/٢١٣ .
(١٥) الاغاني ١٢/٢١٥ .
(١٦) حماسة البحتري ص ٩٤-٥٠ .
(١٧) الاغاني ١٢/٢١٥ .

امامهم رتوم وخلفهم الجبال السود وعن شماله لهم خيفوا البهيم. وينطلق بعلو مرتبة تلو اخرى حتى يعين هدفه ويدرس موقفه ويرسم خطته ثم ينقض على خصمه فيشعلها حربا ضارية بشبا اوارها وبتطاير شررها فاذا هو يضرب بالخصوم ويقصع الرجال، ويقطع منهم الايدي والآنف ، واذا الرجال تصرع في كل مكان وجثثهم تنشر في الانحاء ، واذا المعركة غابة يابسة اضرمت فيها النار هبت عليها ريح السموم ، فشررها يتطاير كالشهب ، وقدخاض هذه القفرات برجال اشداء من قومه غير خور ولا مترددين .

والقصيدة بعد ذلك نشيد من اناشيد الحرب ، جسد فيها هول المعركة وبشاعة الحرب وشدة البلاء ، ووصفها وصف خبير ذاق بلواها وصلى بحرها فاحسن الوصف واجاد التصوير .

* * *

جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين ١٢٩ــ١٣٠ .

وقال حاجز بن عوف بن الحارث بن الاخشم بن عبدالله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج :

١ ــ سَأَلْتُ فلم تَكلِّمْني الرسُومُ ... فظَلْتُ كأنَّني فيها سَقيمُ
٢ ــ بقارعةِ العَريفِ فذاتِ مَشْحٍ ... الى العَصْداءِ ليس بها مُقيمُ
٣ ــ منازِلُ عَذْبَةِ الأنيابِ خَوْدٍ ... فما إنْ مِثْلُها في الناسِ نِيمُ
٤ ــ فأمَّا إنْ صَرَفْتُ فغيرُ بُغْضٍ ... ولكنْ قد تُعَدِّيني الهُمومُ
٥ ــ عَدَاني أنْ ازورَّكِ حَرْبُ قَوْمٍ ... كَحَرِّ النَّارِ ثاقِبَةٌ عَذُومُ
٦ ــ عَذُومٌ يَنْكُلُ الأعداءُ عنها ... كأنَّ صَلاتَها الأبطالَ هِيمُ
٧ ــ فلَسْتُ بآمرٍ فيها بِسِلْمٍ ... ولكنِّي على نَفْسي زَعِيمُ
٨ ــ قَتَلْنا ناجِياً بقتيلِ فَهْمٍ ... وخيرَ الطَّالبِ التِّرةَ الغَشُومُ
٩ ــ بعَزْوٍ مثلِ ولغِ الذئبِ حتَّى ... يَنُوءَ بصاحبي ثَأْرٌ مُنِيمُ
١٠ــ ينُوءُ بصاحبي أو يقتلوني ... قَتيلٌ ماجدٌ سَمْحٌ كريمُ
١١ــ ولمَّا أنْ بدَتْ أعلامُ تَرْجٍ ... وقالَ الرابِئانِ بدَتْ رَتُومُ
١٢ــ وأعرضتِ الجِبالُ السُّودُ خَلْفي ... وخَيْنَفُ عن شِمالي وانبَهِيمُ
١٣ــ أمَمْتُ بها الطَّريقَ فَوَيْقَ نَعْلٍ ... ولم أُقْسِمْ فتَرْبِئَني القُسُومُ
١٤ــ ومَرْقَبَةٍ نَسَيْتُ الى ذُراها ... يُقَصِّرُ دونَها السَّبِطُ الوَسِيمُ
١٥ــ عَلَوْتُ قَذالَها وهَبَطْتُ منها ... الى أُخْرى لِقِلَّتِها صَمِيمُ
١٦ــ فلم يَقْصُرْ بها باعِي ولكنْ ... كما تَنْقَضُّ ضَارِيَةٌ لَحُومُ
١٧ــ من النُّمْرِ الظُّهُورِ كأنَّ فاهَا ... إذا أنْحَتْ على شَيءٍ قَدُومُ
١٨ــ ولَيلةِ قِرَّةٍ ادلَجْتُ فيها ... يُحَرِّقُ جِلْدَ ساقَيَّ الهَشِيمُ
١٩ــ فأصبحتِ الأنامِلُ قد أُبِينَتْ ... كأنَّ بَنانَها أنفٌ رَتِيمُ
٢٠ــ تَراها من وِثامِ الأرضِ سُوداً ... كأنَّ أصابِعَ القَدمينِ شِيمُ

٢١ـ ورَجْلٍ قد لفَفْتهُمُ برَجْلٍ عليهِمْ مثلَ ما نُثِرَ الجَرِيمُ

٢٢ـ يُصِيبُ مقاتِلَ الأبطالِ منهم فَحِيطُ الطَّعْنِ والضَّربُ الخَذِيمُ

٢٣ـ كمعمعةِ الحَرِيقةِ في أباءٍ تَشُبُّ ضِرَامَهَا رِيحٌ سَمُومُ

٢٤ـ ورَدَّتْ الموتَ بالأبْطالِ فيهمْ إذا خَامَ الجَبانُ فلا أَخِيمُ

٢٥ـ ومُعْتَرَكٍ كأنَّ القومَ فيهمْ تَبَلَّدُ جُلودَ أوجُهِهِمْ جَحِيمُ

٢٦ـ صَلَيْتُ بحرِّه وتَجَنَّبَتْهُ رِجَالٌ لا يُنَاطُ بها النَّمِيمُ

٢٧ـ إذا أَنْسَى الحَيَاءَ الرَّوْعُ نادَوْا ألا يا حَبَّذَا الأَنَسُ المُقِيمُ

* * *

اما القصيدة الثانية فتقع في اثنين وثلاثين بيتا ، وهي نشيد آخر من اناشيد الحرب والفروسية ، وتصوير المعارك وهول الحروب . بداها بالوقوف على الاطلال والرسوم العافية، فرسم لوحة للمكان بكل تفاصيلها ، ثم يتخلص الى ذكر الحروب التي خاضتها قبيلته وابلت فيها البلاء المقيم ، فان قومه متاهبون ابدا للقتال متحفزون للغارة ، اذا نادى منادبهم فسرعان ما تشهر السيوف وتبرز الابطال وتقتحم الفرسان .

ويعين الشاعر معركة بذاتها يذكر فيها خصمه (لسمة الجشمي) ويعين زمان الحرب باليوم والليلة ويصف احوالها حيث تناصرت جموع من خثعم وزبيد ومذحج وصداء ودعمي وبني شعار وغيرهم ، جاءت هذه الجموع الضخمة تريد اجتثاث قومه واستئصالهم ، فالتقى الجمعان واذن مؤذن الحرب من هؤلاء وهؤلاء ، وصرخت الجموع المعادية صرخة الحرب (بال عبس) وصاحوا هم (بال برقى) وتحمس الفريقان وتحاضوا على القتال وتزاحفوا والتحموا فالثبات نصر والفرار فضيحة .

ويثوب الى نفسه فيذكر انه ابن الحرب يخوض الغمرة بفرسه ، فاذا عقروها قذفهم بنفسه ، فهو فارس مقدام صبور يصلي نار الوغى ويخرج منها كتصل السيف مختضب الغرار ، وهو من هو في الحروب ، بعرفه فرسانها فتزود عنه خيولهم فهو مقدام يجود بنفسه وبفرسه ، يضاربهم ويطاعنهم فيصرع منهم من يصرع ويلوذ الاخرون بالفرار ، ويفوز بعدها بالغنائم ، ابل سمينة كثيرة ونساء سبايا كغزلان الصرائم .

ويعرض بخصم له اسمه (غزيل) كان قد فاخره بآل كعب وهو ينكر عليه هذا الفخر والانتساب الى آل كعب ففخره بهم (كمن باهى بثوب مستعار) ولكنه يذكره بهول المعركة وما انزله بهم وما صاروا اليه من قتل وسبي .

ويعرض كذلك بابي ثور وبمائه ، ولعل ابا ثور هو عمرو بن معديكرب الزبيدي لان قبيلته زبيدا قد اشتركت في هذه الحرب . وفي اخبار حاجز ان خثعما استنصرت بعمرو على قتال الازد ، فطعن عمرو حاجزا في رجله وهو لا يعرفه فلما علم انه حاجز كف عمرو عن القتال تذمما من محاربته .

والقصيدة بعد ذلك تعكس هموم الشاعر العربية ، وتصور حياته القاتلة وفيها صورة رهيبة للحرب وما فيها من شدة وعنف وروع .

جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين ١٣٠ـ١٣١ .

وقال حاجز ايضا :

١ ـ لِمَنْ طَلَلٌ بِعَثْمَةَ أو حُفَارِ عَفَتْهُ الرِّيْحُ بعدَكَ والسَّوارِي

٢ ـ عَفَتْهُ الرِّيحُ وأعتلجَتْ عليهِ بأَكْدَرَ من تُرَابِ القَاعِ جَارِ

٣ ـ فَلأيا ما يُبِينُ رَثِيدُ نُؤْيٍ ومَوْسَى السُّفْنَيَيْنِ من أشْجَارِ

٤ ـ ومَبْرَكِ هَجْمَةٍ ومَعَامِ خَيْلٍ حَوَافِنَ في الأَعِنَّةِ والأوَارِي

٥ ـ ألا هَلْ أتاكَ والأنباءُ تَنْمِي طَوالِعَ بينَ مبتَكِرٍ وسَارِ

٦ ـ بنحْبَسِنَا الكتائبَ إنْ قَومِي ... لهم زَنْدٌ غَداةَ الناسِ واري

٧ ـ إذا نادَوْا عَوَادِ تَعْودْ مِنَّا ... عَبَاهِلَةٌ سِيُوفُهمْ عَوَارِ

٨ ـ فأَبلِغْ قِعْنَةَ الجُشَمِيِّ عَنِّي ... كَتَفْيِلَ الحَيِّ أيامَ النِّقَارِ

٩ ـ بآيةَ ما أجَزْتُهمُ ثَلاثاً ... بَقِينَ وأربَعاً بَعْدَ الشَّرَارِ

١٠ ـ فجاءَتْ خَثْعَمٌ وبنو زُبَيْدٍ ... ومَذْحِجْ كُلُّهَا وأبْنَا صُحَارِ

١١ ـ وجَمْعٌ من صُدَاءٍ قد أتَانَا ... ودُعْمِيٌّ وجَمْعُ بني شِعَارِ

١٢ ـ فلم نَشْعُرْ بهم حتَّى أنَوْنَا ... كحِسْيَرَ إذْ أناخَتْ بالجِنَارِ

١٣ ـ فقامَ مُؤَذِّنٌ مِنَّا ومنهمْ ... لدَى أبياتِنَا سُورِي سَوَارِ

١٤ ـ كأنَّا بالمَضِيقِ وقد ثَرَوْنَا ... لَدَى طَرَفِ الأُصَيْحِرِ ضَوْءُ نَارِ

١٥ ـ فقالوا يالَ عَبْسٍ فازعُوهمْ ... سِجَالَ الموتِ بالأسَلِ الحِرَارِ

١٦ ـ فقُلْنَا يالَ يَرْفَى ما صِنَعُوهُمْ ... فِرارَ اليومِ فاضِحَةَ الذِّمَارِ

١٧ ـ فأمَّا تعقِرُوا فَرَسِي فَإنِّي ... أُقَدِّمُهَا إذا كَثُرَ التَّغَارِي

١٨ ـ وأحْمِلُهَا على الأبطالِ إنِّي ... على يومِ الكَرِيهةِ ذو اصْطِبَارِ

١٩ ـ صَلِيتُ بغَمْرةٍ فخرَجْتُ منها ... كنَصْلِ السَّيفِ مُخْتَضِبَ النِّجَارِ

٢٠ ـ كأنَّ الخيلَ إذْ عَرَفَتْ مقامِي ... تُنَادِي عن شَتِيمِ الوَجْهِ صَارِ

٢١ ـ أكُفُّهُمُ وأضْرِبُهُم ومِنِّي ... مُشَلْشَلَةٌ كحاشِيَةِ الإزَارِ

٢٢ ـ وأعْرَسَ جامِلٌ عَكَرٌ وسَبْيٌ ... كعِزْلانِ الصَّرائِمِ من بحَارِ

٢٣ ـ فلم أبْخَلْ غَداتَئِذٍ بنفسِي ... ولا فَرَسِي على طَرَفِ العِيَارِ

٢٤ ـ تُضَارِبُ بالصَّفَايحِ مَنْ أتَانَا ... وأُخْرَاهُمْ تَمَثَّلُ بالنِّرَارِ

٢٥ ـ ألا أبْلِغْ غُزَيِّلَ حيثُ أضحَى ... أحَقّاً ما أُنَبَّأُ بالفَخَارِ

٢٦ ـ فإنَّكَ والفَخَارَ بآلِ كَعْبٍ ... كمَنْ باهَى بِثَوْبٍ مُسْتَعَارِ

٢٧ ـ وذَاتِ الحِجْلِ تَبْهَجُ أنْ تَرَاهُ ... وتَمْشِي والمَسِيرُ على حِمَارِ

٢٨ ـ أرِينَا يومَ ذلكَ مَنْ أتَانَا ... بذِي الطُّبَةِ الكَواكِبِ بالنَّهَارِ

٢٩ ـ فلَو كُنَّا المُغِيرةَ قد أفَأْنَا ... المُؤَبَّلَ والعَقَايِلَ كالعِرَارِ

٣٠ ـ أبَا ثَوْرٍ سَجَاحِ فإنَّ دَعْوَى ... تُخَالِفُ ما أبَيْتَ عَصِيمَ عَارِ

٣١ ـ فلَوْلا أنْ تُدارِكَ جَرْيُ صَهْوِي ... كُلُومٌ مِثْلُ غايِلَةِ النِّقَارِ

٣٢ ـ لَرَدَّ إليكَ شاكِلَةٌ بَتِيراً ... حُسَامٌ غَيْرُ مُنْتَلِمٍ قَطَارِ

* * *

بقية شعر حاجز بن عوف :

١ ــ فر حاجز من خثعم وتبعه المرقع الخثعمي ، ففاته حاجز وقال في ذلك (الاغاني ٢١٦/١٣ وحماسة البحتري ص ٥٠) :

وكأنما تبعَ الفوارسُ ارنبا ... او ظبيَ رابيةٍ خفافا اشعبا
وكأنما طردوا بدي نمراتهِ ... صدْعاً من الأروى احسَّ مكلَّبا
اعجزتْ منهم والأكفُّ تنالني ... ومضتْ حياضُهمْ وآبوا خيَّبا
ادعُو شنُوءةَ غثُّها وسمينَها ... ودعا المرقَّعُ يومَ ذلكَ اكلُبا

٢ ــ وقال يخاطب عوض امسى (الاغاني ٢١٦/١٣) :

ابلغ اُميمةَ عوضْ امسى بزُنَّا ... سَلْبَاً وما انْ سَرَّهَا ان تُنْكَبَا
لولا تقاربُ رافةٍ وعيونُها ... خميشتَا مُصْعَبداً ومصوَّبَا

٣ ــ ولحاجز الازدي (صوت) في الاغاني غنى فيه نبيه هزج بالبنصر عن الهشامي (الاغاني ١٣/ ٢٠٨) :

الا عللاني قبلَ نَوْحِ النوادبِ ... وقبلَ بكاءِ المعْوِلاتِ القرائبِ
وقبلَ ثوائي في تُرابٍ وجَنْدَلٍ ... وقبلَ نشوزِ النفسِ فوقَ التَّرائبِ
فإنْ تأتِني الدُّنْيَا بيومي فُجَاءةً ... تجدْنِي وقد قضَيْتُ منها مآربي

٤ ــ وقال حاجز بن عوف في فراره (حماسة البحتري ص ٤٩ــ٥٠ والاغاني ٢١٤/١٣ وقد وفقت بين الروايتين وفيهما خلاف يسير) :

فغير قتالي في المضيق اغاثني ... ولكن بذفي الشد غير الاكاذب
فدى لكما رجلي امي وخالتي ... وشدكما بين الربى والأثائب
حططت على جنبي الشمال وعيّموا ... حطوط رباع محضر الجري قارب
نجوت نجاء لا اطبك طبه ... وينزو بشير نزو ازعر خاضب
ابي والات قد تحصص ريشه ... يجيء بأوب الشد من كل جانب
كان رواقي ظلة غامدية ... على ما اقل راسه بالمناكب
اوان سمعت القوم خلفي كأنهم ... حريق اباء في الرياح الشواقب
سيوفهم تغشى الجبان ونبلهم ... يضيء لدى الأقوام نار الحباحب
وجدت بعيرا هاملا فركبته ... فكادت تكون شر ركبة راكب

٥ ــ وقال حاجز يفخر بقومه وبقريش للحلف الذي كان بين الازد وبني مخزوم من قريش (الاغاني ٢٠٩/١٣) :

قومي سلامان اما كنت سائله ... وفي قريش كريم الحلف والحسب
اني متى ادع مخزوما ترى عنقا ... لا يرعشون لضرب القوم من كثب
يدعى المغيرة في اولى عديدهم ... اولاد مراسة ليسوا من الذنب

٦ ــ وقال حاجز يرد على عزيل الخثعمي (الاغاني ٢١٢/١٣ــ٢١٣) :

ان تذكروا يوم القرى فانه ... بواء بأيام كثير عديدها

فنحن أبحنا بالشـــخيصة واهنـا جهاراً فجئنـا بالنســاء نقودهـــا
ويوم كراء قـد تـدارك ركضنـــا بني مالك والخيـل صعر خدودهـا
ويـوم الاراكات اللـواتي تأخـــرت سراة بني لهبـان يدعـو شـريدهـا
ونحن صبحنـا الحي يـوم تنومـة بملمومة يهوى الشـجاع وئيدهـــا
ويوم شروم قد تركنـــا عصابـــة لدى جانب الطرفـاء حمرا جلودها
فما رغمت حلفـا لأمـر يصيبهـــا من الذل الا نحن رغمـا نزيدهـــا

٧ ــ لقي حاجز بن عوف بني عامر فهرب منهم ونجا فقال (الاغاني ٢١٥/١٣ وحماسة البحتري ص ٥٠ وانظر اختلاف الرواية بين المصدرين) :

الا هـــل اتى ذات القلائـــد فرتى عشية بين الجرف والبحر من بعـر
عشية كادت عامـــر يقتلـــونني لدى طرف الســلماء راغبـة البكر
فما انظبي أخطت خلفة الصقر رجله وقد كاد يلقى الموت في خلفة الصقر
بمثلي غـداة القـوم بـين مقنـــع وآخر كالســـكران مرتـكز يفـري

٨ ــ ان اناسا من الازد وفيهم حاجز ربشوالتابط شرا ربيئة ، فلحقه حاجز فلم يظفر به وفاته تابط شرا فقال :

تتعتعت حضني حاجز وصحابـــه وقد نبـذوا خلقـانهـم وتشـنعوا

من ابيات ، فاجابه حاجز قائلا (الاغاني ١٤٩/٢١) :

فان تك جاريت الظـلال فربمـــا سبقت ويوم القرن عريـان اسـنع
وخليت اخـوان الصـفاء كانهـــم ذبائح عنـز او فحيـل مصـــرع
تبكيهم شـــجو الحمامـة بعدمـــا ارحت ولم ترفع لهم منـك اصبـع
فهذى ثلاث قد حويت نجـاتهـا وان تنج اخـرى فهـى عندك اربع

٩ ــ جمع حاجز اناسا من فهم وعـــدوان ، فدلهم على خثعم ، فاصابوا منهم غرة وغنمـــوا ماشاؤا ، فبلغ حاجزا انهم يتوعدونه ويرصدونه ، فقال (الاغاني ٢١٢/١٣) :

واني مـــن ارعادكـــم وبروقـكم وايعادكم بالقتـل صم مســـامعي
واني دليـــل غـــير مخف دلانتـي على الف بيت جدهم غـير خاشـــع
ترى البيض يركضن المجاسد بالضحى كذا كل مشبوح الذراعـين نـــازع
على اي شـــيء لا ابـــاً لابيـــكم تشيرون نحوي نحـــوكم بالاصـابع

١٠ ــ كان الحارث بن عبدالله بن بكر يأخـــذالربع من جميع الازد اذا غنموا ، لان الرياســة في الازد كانت لقومه ، فغزتهم بنو فقيم بن عدي من كنانة فظفرت بهم ، فاســـتغاثوا ببني ســـلامان فأغاثوهم ، حتى هزموا بني فقيم واخذوا منهـــم الغنائم وسلبوهم ، فاراد الحارث ان يأخذ الربع كما كان يفعل ، فمنعه مالك بن ذهل بن مالك بن سلامان وهو عم ابن حاجز ، فقال حاجز في ذلك (الاغـاني ٢١١/١٣ــ٢١٢)

الا زعمت ابناء يشـــكر انتـــا بربعهـــم بـــاؤا هنـالك نافـل
ستمنعنا منـكم ومن ســوء صنعكم صفائح بيض اخلصتهـا الصـيقل
واسمر خطى اذا هـــز عاســـل بأبدي كمـاة جربتهـــا التبائـل

١١ـ اجاز قوم حجاج من الازد ببني هلال بن عامر بن صعصعة ، فعرفهم ضمرة بن ماعز سبذبني هلال ، فقتلهم هو وقومه ، وبلغ ذلك حاجزا ؛ فجمع جمعا من قومه واغاروا على بني هلال فقتل فيهم وسبى منهم ؛ وقال في ذلك يخاطب ضمرة بن ماعزا الاغاني ١٢/٢١٤ـ٢١٥) :

يا ضمر هل نلنـاكم بدمائنـا ... ام هل حذونا نعلكم بمثـال
تبكي لقتلى من فقيم قتلوا ... فاليوم تبكي صادقا نهلال
ولقد شفاني ان رايت نساءكم ... يبكين مردفة على الاكفال
يا ضمر ان الحرب اضحت بيننا ... لقحت على الدكاء بعد حيال

١٢ ـ اغار عوف بن الحارث بن الاخشم على بني هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داج مظلم ؛ فقال لاصحابه : انزلوا حتى اعتبر لكم ؛ فانطلق حتى اتى صرما من بني هلال ، وقد عصب على يد فرسه عصابا ليظلع فعلموا فيه ، فهجم بهم على اصحابه من بني سلامان ؛ فاصيب يومئذ بنو هلال وملأ القوم ايديهم من الغنائم ففي ذلك يقول حاجز بن عوف (الاغاني ١٢/٢١٠ـ٢١١) :

صباحك واسلمي عنا اماما ... تحية وامق وعمى ظلاما
برهرهة يحار الطرف فيها ... كحقة تاجر شدت ختاما
فان تمس ابنة السهمي منا ... بعيدا لا تكلمنا كلاما
فانك لا محالة ان ترينى ... ولو امسيت حيالكم رماما
بناجية الغوائل عيهجور ... تدارك نيها عاما فعاما
سلي عني اذا اغبرت جمادى ... وكان طعام ضيفهم انشماما
السنا عصمة الاضياف حتى ... يضحى مالهم نفلا توامـا
ابى ربع الفوارس يوم داج ... وعمى مالك وضع السهاما
فلو صاحبتنا لرضيت عنا ... اذا لم تغبق المائة الغلاما

زهير بن مسعود الضبي

شاعر جاهلي من شعراء العروسية والوصف ، لا نعرف عنه شيئا ، فقد سكتت المصادر عن ذكره ، ولكن ما خلفه من شعر يدل على شاعرية رفيعة مبدعة .

شهد مع قومه يوم (ابضة) حين اغار قومه بنو ضبة على بني فزير وبحتر ، فقتل زهير بن مسعود الحليس بن وهب ، وقال فيه(١) :

عشية غادرت الحليس كانما ... على النحر منه لون برد محبر
جمعت له كفي بلدن يزينه ... سنان كمصباح الدجى المتسعر
فلم ارقه ان ينتج منها وان يمت ... فطعنة لا غس ولا بمغمر

ويشير الشاعر في البيت الاخير الى ما كانوا يزعمونه من ان الطاعن اذا رقي المطعون برا ولم يمت .

وقد وصف زهير بالاعسر الذي اشل يد زيد الفوارس كما يذكر صاحب منتهى الطلب ، ولابد انه يشير الى وقعة كانت لهم . ومدار شعر زهير حول الحرب والفتك والقتال ووصف مايكون فيها من اهوال ، وذكر بلائه في طعن الاعداء ، ثم يجاوز ذلك الى وصف الديار والحيوان والصيد ، ويتداخل شعره هذا بشعر الفحول الجاهليين المعاصرين له ، من مثل عنترة وزيد الخيل وحاتم الطائي .

ولسنا نطمع ان نعرف عن الشاعر شيئا اخر غير ما وصل من شعره ، وهذا الشعر ـ على الرغم من قلته ـ فيه غنى وثراء ، فقد حفظ له ابن ميمون صاحب منتهى الطلب قصيدتين من غرر الشعر الجاهلي ، انفرد بالاولى فلم يرد لها ذكر في اي مصدر من المصادر التي اعرفها ، وهذه القصيدة سينية عدد ابياتها ثمانية وعشرون بيتا ، اما القصيدة الاخرى فهي بائية تقع في تسعة وثلاثين بيتا ، اختار ابو تمام منها في كتاب الوحشيات(٢) الابيات الستة الاخيرة ، وبهذا كان الفضل لصاحب منتهى

(١) انظر السمط ص ٥٥ وفصل المقال ص ١٥٧ . (٢) ص ٨٧ .

الطلب أن حفظ هاتين القصيدتين التاليتين ، وقد حفظت الكتب للشاعر قطعتين اخريين ، واحدة على حرف القاف في خمسة أبيات ، والاخرى على حرف الراء في ثلاثة أبيات ، وساسجل القطعتين بعد ذكر القصيدتين .

* * *

فاما القصيدة الاولى ، فيفتتحها بذكر الديار ومعرفة الرسوم وتسمية مواضعها وتحديد اماكنها ، ووصف ما بقي من رسومها ، وتشبيه هذه الرسوم بما يتيسر له من صور وشبهات ثم يجرد من نفسه شخصا اخر يسائله ويحكي قصته حيث انهلت دموعه فسالت حتى بلت رداءه ، ولكن لماذا يجزع ، وهل يبكي الكبير الاشمط الراس ، اذن فليتاسى ويتسلى بامتطاء ناقة صلبة شديدة البناء متينة الظهر ، اذا التجا الحيوان الى الظل من وهج الشمس ، فهي تقطع الفيافي وتجتاز الفلوات من غير اعياء ولا وني . وهذه الناقة في قوتها وصبرها كانها ثور موشي الاكارع وفي وجهه بقع سود ، ثم يمضي يروي قصة هذا الثور الذي اجنه الظلام وهطلت عليه الامطار فالتجاء الى أصل شجرة تتهال رمالها تحت اظلافه ، وهو يحاول ابدا ان يثبت ويلتمس صلابة الارض ، وظل على هذه الحال حتى اذا اسفر الصبح وانحسر الظلام ، انطلق يعدو ، فقد احس بهاجس يثير فكره بالمخاطر ، فهذه نياة صائد عرفها قبل يومه هذا . وحين يتردذكر الصائد فان الشاعر يجسم صورته ويجلو وصفه ، فهو بائس خلق الثياب يحمل قوسه وجعبة سهامه ، وتعدو بين يديه كلاب مهزولة اعدت للصيد ، فهي لهزالها كانها قداح الميسر . وتنطلق هذه الكلاب خلف الثور ، حتى اذا دنت منه وأوشكت ان تنهش عراقيبه ، ايقن الثور انه هالك لا محالة ، فحمي وكر عليها قاصبا انيابا ، فصار يطعن هذه ويصرع تلك ، فاذا الكلاب بين قتيل وجريح تكاد نفوسها تفيض . وعندها ظفر الثور بالنجاة وفاز بالنصر فانطلق يعدو بفخر وزهو وخيلاء . ولاشك ان الشاعر يشارك الحيوان في انتصاره وفرحته ، ولذلك فهو ينتقل من مشهد الصيد والصراع الى مجلس الخمر واللهو ، حيث يصطبح مع فتيان اماجد بخمر عاتق صهباء تسبي الحليم اذا دارت على الشاربين . وليس هذا وحسب ، وانما هو رجل فاتك مقدام يكر تحت المجاجة فيصرع خصمه ويطعن منازله طعنة رغيبة عميقة يضيع فيها مسيار الطبيب . وهو الى هذه البطولة فتى يلهو مع الغانيات الحور الكواعب الهيف المخصرات من بيض وسمر ، نال منهن اوطارا وشفى نفسه من اللذات . اما الهموم فقد ركب لها المخاطر وقذف بنفسه وسط الشدائد حتى يفرجها ، وقد ذاق من حلو الحياة ومرها ، وكذلك هي الدنيا نعم وشهد ، نحس وسرور .

* * *

جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين ١٥٢ ـ ١٥٣ :

وقال زهير بن مسعود الضبي

١ ـ أَعَرَفْتَ رَسْمَ الدّارِ بالحَبْسِ فَأجَارِعِ العَلَيَيْنِ فالطَّلْسِ
٢ ـ فوقفتَ تسألُ هامِداً كالكحْـ ـلِ بينَ جواثِمٍ حَلَسِ
٣ ـ ومثلما رفعَ القِيانُ نعـ ـشَ عَضَدَيْهِ حولَ البيتِ بالنَّأْسِ
٤ ـ فانْهَلَّ دمعُكَ في الرِّداءِ وهلْ يبكِي الكبيرُ الأشْمَطُ الوَأْسِ
٥ ـ أفَلا تناساهُمْ بذَعْلَبَةٍ حَرْفٍ مُسَانِدةِ القَرا جلْسِ
٦ ـ أجْدَّ تَجِلْ عن الكَلالِ إذا أكْتَنَّ الجَوازي من لظَى الشَّمْسِ
٧ ـ وكأنَّ رَحْلِي فوقَ ذي جُدَدٍ بشَواهُ والخَدَّيْنِ كالنِّقْسِ
٨ ـ لَهِقِ النَّراةِ خَلا المرادُ لهُ بصَرايِمِ الحِسْيَيْنِ فالوَعْسِ
٩ ـ حتَّى إذا جنَّ الظلامُ لهُ راحتْ عليهِ بوابلٍ رجْسِ
١٠ ـ فأوى الى أرْطَاةِ مرتكمٍ الأنْقَادِ من ثَأْدٍ ومن نَرْسِ
١١ ـ فأكَبَّ مُجْتَنِحاً يُحَفِّرُهَا بظُلوفِهِ عن ذي ثَرى يَبَسِ
١٢ ـ حتَّى أضاءَ الصُّبْحُ وانْحَسَرَتْ عنهُ غَمايةُ مظلمٍ دَمِسِ
١٣ ـ وغَدا كأنَّ بقلبِهِ وهَلاً من نَبْأةٍ راعَتْهُ بالأمْسِ

١٤- فأحَسَّ من كَثَبٍ أخا قَنَصٍ خَنَقَ الثيابِ مُحَالِفَ البُؤْسِ

١٥- ذا وَفْضَةٍ يسعَى بضَارِيَةٍ مثلِ القِدَاحِ كوالحٍ غُبْسِ

١٦- حتَّى إذا لَحِقَتْ أوائِلُهَا أو كِدْنَ عرقُوبَيْهِ بالنَّهْسِ

١٧- بلغَتْ حفيظَتُه فكَرَّ كمَا كَرَّ الحَمِيُّ الأنفِ ذو البأسِ

١٨- فقصَرْنَ مِرْدَهَف وذو رَمَقٍ متحَامِلاً بحُشَاشَةِ النَّفْسِ

١٩- وأنْصَاعَ عَرْضِيّاً كأنَّ بهِ لَمَمَاً من الخَيَلاءِ والفَجْسِ

٢٠- فلَرُبَّ فتيانٍ صَبَحْتُهمُ من عَاتِقٍ صَهباءَ في الخِرْسِ

٢١- عانِيَّةٍ تُصْبِي الحليمَ إذا دارتْ أكُفُّ القَومِ بالكَأْسِ

٢٢- ومُنَاجِدٍ بَطَلٍ دَبَبْتُ لهُ تحتَ الغُبَارِ بطَمْنَةٍ خَلْسِ

٢٣- جَيَّاشَةٍ ترمي إذا سُبِرَتْ بِبِنَارِهَا المَسْمُورِ كالقَلْسِ

٢٤- وكواعبٍ هِيْفٍ مُخَصَّرَةِ الـ أبدَانِ من بيضٍ ومن لُعْسِ

٢٥- حُورٍ نواعِمِ قد لَهَوتُ بها وشَفَيْتُ من لذَّاتِها نَفْسِي

٢٦- وجَسِيمِ هَمٍّ قد رحلتُ لهُ حتى تَؤُوبَ بَلِيَّةً عَنِّي

٢٧- فَفَرَجْتُ هَمِّي بالعَزِيمةِ إنَّ العَزْمَ يَفْرُجُ غُمَّةَ اللَّبْسِ

٢٨- ولَقِيتُ من ثُكَلٍ ومَغْبَطَةٍ والدهرُ من طَلَقٍ ومن نَحْسِ

* * *

اما القصيدة الثانية ، فهي بائية ، تعرض لوحة من لوحات الصيد في اروع اشكالها ، يفتتحها بوصف الديار المقفرة ويحدد موضعها ، ويستذكر عندها ايام اجتماع الحي قبل ان تفرقهم النوى ، فهو يستذكر الايام التي ادبرت وكانه يرى اهل الحي من شيب وشبان ، وحولهم الابل الكثيرة السمينة والخيل الجرد الاصيلة ، وسلاح هؤلاء القوم من سيوف ورماح كل ذلك يذكره حين كان الحي سامرا يمج بالغناء والطرب واللهو والمرح ، واولئك الذين يذكرهم ويتشوق اليهم هم قومه ، فهو يعني النفس ان تبلغه ديارهم ناقة قوية يقطع بها المفاوز ويجتاب الفلوات ، ويمضي في وصف هذه الناقة ، ثم يشبهها بثور اسفع الوجه في جسمه طرائق ، هبت عليه ريح شديدة وسط ليل حالك شديد الظلام ، قارس البرد ، كثير المطر ، يلوذ باصل ارطاة وينكىء على قرنية وقد اخذ منه الرعب كل ماخذ في هذه الليلة المفزعة ، ومازال الثور في حاله هذه ، حتى هاجت به كلاب مدربة مسترخية اذانها هيف البطون ، فيها ضراوة ولهافتك شديد ، فذعر الثور وولى هاربا ، ولكنهن ادركنه واحطن به ، فايقن انه الهلاك ولابد من القتال والنضال ، فوجه لهن قرنيه وانقض عليهن طعنا في اجوافها وتخريقا لبطونها ، ففاز بالنجاة وقرناه مخضوبان من دمائها ، ونراه بعد ذلك منتصرا منطلقا يعدو وهو ابيض ناصع كانه (كوكب او قبس بالكف مشبوب) .

والشاعر في هذه المشاركة الوجدانية للحيوان انما يعبر عن ذات نفسه حين تنتابه المخاوف وتحيط به الهموم ، وتحدثه نفسه بالنصر على الخصوم والنجاة من مكائدهم .

ثم يعود الى قومه بني ضبة يمدحهم ويذكر خصالهم ومكانتهم في نفسه وحنينه اليهم ، فهم قوم لهم مثل وخلق كريم ، قولهم بر وجاراتهم في حرز وصون ، وامهاتهم كرائم نجيبات ، يحمدهم الضيف وقراهم مبذول للاكلين ، هم اهل للشدائد فرسان مقاتلون ذوو بزة وسلاح ، لا يسكتون على الثار ، ولايذهب بحقهم احد ، شديدون اذا بطشوا ، واهل رفق وحكمة اذا رفقوا .

اما هو فيعود الى همته وركوبه المخاطر وامتطائه فرسه الصالح المحبوب الذي يفزع الوحش وينال الصيد ، وينطلق فيه بالصحراء كانه سرحان يسعى نحو قطيع الغنم .

* * *

جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين١٥٢ ـ ١٥٤(٢) :

وقال زهير بن مسعود ايضا

وهو الاعسر الذي اشل يد زيد الفوارس

١ ـ أَقْفَرَ من سَلْمَى بِنَاضِيبْ فَبَطْنُ ذِي قَارٍ فَعُرْقُوبْ

٢ ـ فَوَاسِطٌ أَقْفَرَ من أهلِهِ فَذَاتُ فِرقَيْنِ فَمَلْحُوبْ

٣ ـ منَازِلُ الحَيِّ إذا الحَيُّ لم تَشْعَبْهُمْ عنكَ الأشَاعِيبْ

٤ ـ وقد أرى الحَيَّ بها فِيهِمُ كَهِمِّكَ الشَّبَّانُ والشِّيبْ

٥ ـ والجَامِلُ الحُوْمُ لهُ رَجَّةٌ كَأَنَّهُ للنَّاظِرِ اللُّغُوبْ

٦ ـ والصَّافِنَاتُ الجُرْدُ كُلٌّ الى صَالِحِ عِرْقِ الخَيْلِ منسوبْ

٧ ـ وقَضْبُ الهِنْدِيِّ مَجْلُوزَةٌ قد قُوِّمَتْ منها الأنابِيبْ

٨ ـ يُسْمَعُ للسَّامِرِ فِيهِمْ إذا أَمْسَوْا أغَانِيٌّ وتَطْرِيبْ

٩ ـ هل تُبْلِغَنِّي حَرَجٌ رَسْلَةً قَوْمِي كِنَازُ اللَّحْمِ شُنْخُوبْ

١٠ـ يَقُولُ عَنِّي البِيدَ إرْقَاصُهَا إذا احْزَأَلَّتْ بِي الصَّيَاهِيبْ

١١ـ يَبْرِي لها مُستعمَلٌ لاحِبٌ مُوَطَّأُ المَتْنَيْنِ مَرْكُوبْ

١٢ـ كأنَّها أسفَعُ ذُو جُدَّةٍ آوى الى غَضْبَاءَ مَهْضُوبْ

١٣ـ تَلْفُّهُ رِيحٌ خَرِيقٌ ولَيْـ ـلٌ حَالِكُ النُّقْبَةِ غِرْبِيبْ

١٤ـ فَبَاتَ مقرُوراً مُكِبّاً على رَوْقَيْهِ والمَاءُ شَآبِيبْ

١٥ـ كأنَّما الماءُ على مَتْنِهِ لُؤْلُؤُ مَسْنٍ جَالَ مَثْقُوبْ

١٦ـ حتَّى غَدَى يكلأُ أقطَارَهُ من كُلِّ وَجْهٍ وهوَ مَرْعُوبْ

١٧ـ فَنَالَ شَيْئاً ثم هاجتْ بِهِ مُؤْسَدَةٌ فيهِنَّ تَدْرِيبْ

١٨ـ غُضْفٌ ضِرَاءٌ طُوِيَتْ فأنطَوَتْ كأنَّهَا ضُمَّراً يعَاسِيبْ

١٩ـ فجَالَ في وَحْشِيَّةٍ نَافِراً رَهْبَتَهَا والشَّرُّ مَرْهُوبْ

٢٠ـ حتَّى إذا قُلْنَ تَلافَيْنَهُ والحَيْنُ للحَايِنِ مَجْلُوبْ

٢١ـ ثَنَى لها يَهْتِكُ أسْتَارَهَا بِسُمْرَةٍ فيهِ تَجْرِيبْ

٢٢ـ حتَّى تساقَطْنَ وخَلَّيْنَهُ ورَوْقُهُ بالدَّمِ مخضُوبْ

٢٣ـ كأنَّهُ حين نَجَا كَوكَبٌ أو قَبَسٌ بالكَفِّ مَثْبُوبْ

---

(٢) جاءت الابيات الستة الاخيرة ٢٤ـ٢٩ في الوحشيات ص٨٧ ، والبيت ٢٩ في المعاني الكبير ٣٦/١ .

٢٤ـ إنَّ بني ضَبَّـةَ قَـوْمِي فلَـنْ ... أشْرِبَهُمْ ما حَنَّتِ النِّيبُ

٢٥ـ فَولُهُـمْ بِرٌّ وجارَاتُهُـمْ ... حِجْـرٌ فلا هُجْـرٌ ولا خُـوبُ

٢٦ـ يَنْمِي بهِـمْ آباؤُهُـمْ لِلعُلَى ... ونِسْـوَةٌ بِيْضٌ مَنَاجِيبُ

٢٧ـ ويَحْسَـدُ العَافِي قِرَاهُمْ إذا ... مـا لَـمْ يَكُنْ في الحَيِّ مَحْلُوبُ

٢٨ـ يا شَيْءُ ما هُم حينَ يدعوهُمُ ... دَاعٍ لِيَـوْمِ الرَّوْعِ مَكْرُوبُ

٢٩ـ شُمٌّ يَغَارُونَ إذا ما بَدَا ... مِـنَ الحَبِيَّـاتِ العَرَاقِيبُ

٣٠ـ كأنَّهُـمْ يَـوماً إذا استَلأَمُوا ... في الحَلَـقِ البُـزْلُ المَصَاعِيبُ

٣١ـ يَسْعَى لهُـمْ جَيْرٌ بأوتَارِهِمْ ... طَلاَّبُ أوتَـارٍ ومَطْـلُوبُ

٣٢ـ كأنَّهُـمْ عَـادٌ حُلُـوماً إذا ... طَاشَ مِنَ الجَهْـلِ القَطَارِيبُ

٣٣ـ والمَالُ لا يُسْتَمُّ من حَقِّـهِ ... والأَمْنُ في ذي الأَمْنِ مَرْقُـوبُ

٣٤ـ بَـلْ ليتَ شِعْرِي والمُنَى ضَلَّةٌ ... والمَرْءُ إذْ يَأْمُلُ مَكْـذُوبُ

٣٥ـ هل تَذْعَرَنَّ الوحشَ بي في الضُّحَى ... كَبْـدَاءُ كالعَسْعَـدَةِ سُرْحُوبُ

٣٦ـ مُدْفَقَـةُ المَتْنَيْنِ يَنْمِي بها ... هَادٍ كجِـذْعِ النخلِ يَعْبُوبُ

٣٧ـ وكَاهِلٌ أَفْرَعُ فيـهِ مع الـ ... إفـرَاعِ إشْـرَافٌ وتَقْرِيبُ

٣٨ـ ميمونَـةُ الطَّائِرِ محبوبَـةٌ ... والفَرَسُ الصَّـالِحُ محبُـوبُ

٣٩ـ تَعْسِلُ تَحْتِي عَسَلاناً كمـا ... يَعْسِـلُ نحـوَ الغَنَمِ الذِّئْبُ

* * *

ولزهير بن مسعود ابيات ادونها هنا تتمـةللفائـدة :

القطعة في الحماسة الشـجرية ١/٨٦ـ٨٧والحماسة البصرية ١/٩٧ . وورد البيتان الاولان في الاغاني ١٦/١٣٨ ط بولاق والخزانة ٤/٥٠٥ ، ٢/١٢٣ ورويت لعنترة ولزيد الخيل . والبيت الاول مع اربعة ابيات برواية مخالفة لزيد الخيل في امـاليالزجاجي ص ١٠٦ـ١٠٧ . وليس من همي هنـا الاستقصاء والتخريج .

قال زهير بن مسعود الضبي :

هَـلا سألتِ ـ هَداكِ اللهُ ـ ما حَسَبي ... عندَ الطِّعَـانِ إذا مـا احمرَّتِ الحَدَقُ

وجَالتِ الخيلُ بالأبطـالِ مُعْلَمَـةً ... شَعْثُ النَّواصي عليهـا البِيضُ تأتلِقُ

هل اتركُ القِـرنَ مصـفرّاً انامِلُـهُ ... قـد بَـلَّ انوابَـهُ من جوفِـهِ العَلَـقُ

وقد غَـدَوتُ أمـامَ الحَيِّ يحمِلُني ... نَهْدُ المراكِـلِ في اقرابِـهِ بَـلَـقُ

حتـى انـالَ عليـهِ كـلُّ مكرُمَـةٍ ... إذا تضَـجَّعَ عنهـا الواهِـنُ الخَمِـقُ

وجاءت ثلاثة ابيات لزهير بن مسعود في فصلالمقال ص ١٥٧ و ١٥٤ وبيتان منها في السمط ص ٥٥ وتهذيب الالفاظ ص ١٤٣ والنوادر ص ٧٠ وبيتواحد في حماسـة المرزوقي ١/٤٢٦ واللسـان (غسـق) .

قال زهير بن مسعود :

عشية غادرت الحليس كأنه ... على النحر منه لون بُرد مُحبَّر
جمعت له كفّي بِلَدْن بزينه ... سِنان كمصباح الدُجى المتسعّر
فلم ارتبه إن ينشج منها وان يمت ... فطعنة لا غُمْر ولا بمغمّر

عمرو بن براقة الهمداني

وهذا شاعر آخر من شعراء اللصوص والصعلكة ، شاعرفاتك جريء جيد الشعر ، اسمه عمرو ، ونسب الى امه براقه (ويذكر باسم براق ايضا) الهمداني ثم النهمي ، واسم ابيهمنبه بن شهر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن دومان بن كيل بن جشم بن خيران ن نوف ن همدان(١) .

وهو شاعر جاهلي ادرك الاسلام ، فهو من المخضرمين ، ولانعرف عنه في الاسلام شيئا ، اما في الجاهلية ، فهو احد صعاليك العرب العدائين ، الذين كانوا لا يلحقون ولا تعلق بهم الخيل الذاعدوا ،وهم : السليك بنالسلكة ،والشنفرى ، وتابط شرا، وعمرو بن براق ، ونفيل بن رافة(٢) .

كان عمرو صاحبا لتابط شرا والشنفرى ، يغير تابط شرابهما على القبائل فيغزو ويسبي ويغنم ، وكثيرا ما كان يحيط بهم اعداؤهم فيقع عمرو في قبضة الاعداء ، ويحتال تابط شرا لفكاكه ، في قصص تصور البطولة والفتوة والشجاعة والحزم والتدبير ، حفظ ابو الفرج طرفا من ذلك في ترجمة تابط شرا(٣).

وعلى الرغم من ان ابا الفرج ترجم لصاحبيه تابط شراوالشنفرى وبقية الصعاليك ترجمة مستفيضة ، فانه لم يذكر لعمرو في ترجمته(٤) ، غير حادثة الغارة على ابل عمرو بن براق ،وبسببها نظم القصيدة الميمية ، وسكت ابو الفرج عما دون ذلك.

وقد اشتهرت هذه القصيدة شهرة كبيرة ، واستشهدتبها المصادر ، كما استشهد بها الامام علي بن ابي طالب(٥) ومثل بها الحجاج بن يوسف في خطبته باهل الكوفة(٦) . وهياحدى قصيدتين حفظهما منتهى الطلب ، فاما القصيدة الاولى الاسمية فقد ذكرها ابو علي القالي كاملة(٧) ، وذكرت بقية المصادراطرافا منها . واما القصيدة الثانية (اللامية) فقد انفرد بها منتهى الطلب ولم يرد منها شيء في المصادر فيما احسب .

ذكر ابو الفرج ظروف نظم القصيدة الميمية المشهورة ، في روايةموثوقة مترابطة عن جلة من اعلام الرواة ، عن علي بن سليمان الاخفش قال : حدثنا السكري عن ابن حبيب قال : واخبرنـاالهمداني تعلب ، عن ابن الاعرابي ، عن المفضل ، قالا :

اغار رجل من همدان يقال له حريم ، على ابل لعمرو بنبراق وخيل ، فذهب بها ، فاتى عمرو امراة (سماها القالي سلمى ، وكانت بنت سيدهم وعن رايها كانوا يصدرون) كانيتحدث اليها ويزورها ، فاخبرها ان حريما اغار على ابله وخيله فذهب بها ، وانه يريد الغارة عليه ، فقالت له المراة :ويحك لا تعرض لتلفات حريم فاني اخافه عليك ، قال : فخالفها، واغار عليه ، فاستاق كل شيء كان له ، فاتاه حريم بعد ذلكيطلب اليه ان يرد عليه ما اخذه منه ، فقال لا افعل ، وابى عليه ، فانصرف ، فقال عمرو في ذلك :

(التخريج : القصيدة في منتهى الطلب الجزء الثالثالورقة ٥ . وهي في امالي القالي ١١٩/٢ .

والابيات ١ـ١٤ في الاغاني ١٧٥/٢١ـ١٧٧ مع بيت زائدتفرد به هو بعد البيت الثالث قوله :

نقدت به الفا وسامحت دونه ... على النقد اذ لا يستطاع الدراهم

والابيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ في الوحشيات ص ٢١ـ٢٢ .
والابيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ فيالحماسة البصرية ١١١/١ـ١١٢ .
والابيات : ١ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ في المؤتلفوالمختلف ص ٨٨ .
والابيات : ١ ، ٢ ، ٧ ، ١١ ، ١٢ في الاشباه والنظائرللخالديين ص ٥ .
والابيات : ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، في عيون الاخبار ٢٢٧/١نسبها لمالك بن حريم .
والابيات : ٧ ، ١٠ ، ١١ في حماسة البحتري ص ٢١ .
والابيات : ٨ ، ٩ ، ١٤ في حماسة البحتري ص ٢٢ .

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ٨٨ .
(٢) الاغاني ٢٧٥/٢٠ .
(٣) الاغاني ١٣١/٢١ـ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٧٥ .
(٤) الاغاني ١٧٥/٢١ .
(٥) فصل المقال ص ٣٨٣ .
(٦) الكامل ١٥٨/١ .
(٧) الامالي ١١٩/٢ .

والابيات : ٢ ، ٤ ، ١١ في الحماسة الشجرية ٢١٠/١ .
والابيات : ٧ ، ١١ ، ١٢ في العقد الفريد ١١٩/١ .
والابيات : ١١ ، ١٢ ، ١٣ في مقاتل الطالبيين ص ١٣٢ .
والبيتان : ١١ ، ١٣ في البيان والتبيين ١٣٨/٢ ،والبيتان : ١٢ ، ١٣ في الكامل ١٥٨/١ .
والبيتان : ١ ، ١٢ في فصل المقال ٢٨٢-٢٨٣ .
والبيت : ٨ في المعاني الكبير ١١٢٥/٢ وامالي المرتضى٢٦٦/٢ . والبيت : ١١ في الاشتقاق ص ١٦ وشرح ما يقع فيه التصحيف ص ٢٧٧ .)

جاء في منتهى الطلب ٥/٣ :

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلي على سيدنامحمد وآله وصحبه وسلم

وقال عمرو بن براقة الهمداني

١ ــ تقولُ سُلَيْمَى لا تُعَرِّضْ لتَلْفَةٍ ... ولَيْلُكَ عن ليلِ الصَّعاليكِ نائِمُ
٢ ــ وكيفَ يَنامُ الليلَ من جُلِّ هَمِّهِ ... حُسَامٌ كلونِ المِلْحِ أبيضُ صَارِمُ
٣ ــ غَمُوضٌ إذا عَضَّ الكَرِيهةَ لم يَدَعْ ... لها طَمَعاً طَوعُ اليمينِ مُلازِمُ
٤ ــ أَلَمْ تعلمي أنَّ الصعاليكَ نومُهم ... قَليلٌ إذا نامَ الخَلِيُّ المُسَالِمُ
٥ ــ إذا الليلُ أدْجَى واكْفَهَرَّ ظَلامُه ... وصاحَ من الافراطِ بُومٌ جَواثِمُ
٦ ــ ومَالَ بأصحابِ الكَرَى غَالِباتُه ... فَإنِّي على أَمرِ الغَوَايَةِ حَازِمُ
٧ ــ كَذَبْتُمْ وبَيتِ اللهِ لا تأخذونَها ... مُرَاغَمَةً ما دامَ للسَّيفِ قائِمُ
٨ ــ تَحالفَ أقوامٌ عَلَيَّ لِيَسْلَمُوا ... وجَرُّوا عليَّ الحَرْبَ إذْ أنا سَالِمُ
٩ ــ أَفَاليومَ أُدْعَى للهَوادَةِ بعدَما ... أُجِيلَ على الحَيِّ المَذَاكي الصَّلادِمُ
١٠ــ فإنَّ حَرِيماً إذْ رَجَا أنْ أَرُدَّهَا ... ويذهبَ مالي يا أبنةَ القَيْلِ حَالِمُ
١١ــ متى تجمَعِ القلبَ الذَّكِيَّ وصَارِماً ... وأنْفَاً حَمِيَّاً تجتنِبْكَ المَظَالِمُ
١٢ــ متَى تطلبْ المالَ المُمنَّعَ بالقَنَا ... تَعِشْ ماجِداً أو تَخْتَرِمْكَ المَخَارِمُ
١٣ــ وكنتُ إذا قَومٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهم ... فهلْ أنا في ذا يالَ همدانَ ظَالِمُ
١٤ــ فلا صُلْحَ حتَّى تَقْدَعَ الخَيلُ بالقَنَا
وتُضْرَبُ بالبيضِ الخِفَافِ الجَمَاجِمُ
١٥ــ ولا أَمْنَ حتَّى تَعْثِمَ الحربُ جَهْرَةً
عَبِيدَةَ يوماً والحُروبُ غَوَاشِمُ
١٦ــ أَمستَبْطِئٌ عَمرُو بنُ نُعْمَانَ غارَتِي
وما يُشْبِهُ اليقظَانَ مَنْ هُوَ حالِمُ

١٧ــ إذا جَـرَّ مولانا علينـا جَريرةً صَبرنا لهـا إنّا كِرامٌ دعانمُ

١٨ــ ونَنصُـرُ مولانا ونعلَمُ أنّـهُ كما الناسُ مَجْروم عليـهِ وجارمُ

* * *

اما القصيدة الثانية فهي اللامية وقد انفرد بها منتهى الطلب ، وذكر عن الاصمعي انها احدى المنصفات ، وتقع في خمسة وعشرين بيتا ، يبدؤها بالوقوف على الاطلال ووصفها واميين مواقعها ، وان الذي دعاه الى زيارة هذه الديار ان قومه وقومها التحموا حربا شديدة شاملة ، يصور هولها غداة التقى الفريقان واستعر بينهما القتال فسقط القتلى وكثرت الدماء ، وكان الابطال من الفريقين يخرجون طلبا للنزال فيتصدى لهم كماة مقاتلون ، يخرج فارس فيدعو للنزال فيصطدم بفارس مثله ، ويخرج اثنان فيلتقي بهما صنوان وتسفر المعركة عن صرعى وجرحى ، وتصطبغ الارض بالدماء والاشلاء ، اشلاء اناس معروفين يسميهم الشاعر ويتوه بذكرهم ، حتى اذا اخذت الحرب من الفريقين كل ماخذ ، نراهم يظهرون على خصومهم ويسوقونهم متعبين بعد جهد ونصب ، ويصف الشاعر حال النسوة اللواتي اذلتهن الحرب ، فسرن كقطيع من البقر بتعثر في الاوحال ، وهو يعرف هذه النسوة ، فبين القومين صلات ورحم ، ولكن الحرب قاسية فيها وبلات ولها ضحايا .

ثم يمضي الشاعر يصور ما آلت اليه الحرب وما تركته من اهوال ، وكيف غدت ارض المعركة ، وتفرقت بعدها الجيوش فابتلعتها الاودية وسالت بها الشعاب ، اما الشاعر فيقدو على دابته يجد السير ويقطع البراري ويبغي الرحيل .

جاء في منتهى الطلب الجزء الثالث الورقتين ٥ــ٦ :

وقال عمرو بن البراقة

وهي احدى المنصفات هكذا يقول الاصمعي

١ ــ عَرَفْتَ من الكُنودِ ببَطْنِ ضِيْمٍ فجَوَّ بشَائمٍ طَلَلاً مُحِيلاَ

٢ ــ تعَفَّى رَسْمُهُ إلاّ خِيَاماً مُجَلَّلَةً جَوانِبُهـا جَلِيلا

٣ ــ عَـدانِي أنْ أزورَكِ أنَّ قَـوْمي وقَوْمَكِ ألقَحُوا حرباً شَمُولا

٤ ــ وأنَّكِ لو رأيتِ الناسَ يـوْمَ الـ حِيَارِ عَذَرْتِ بالشُغْلِ الخَليلا

٥ ــ غَداةَ تصَارخَتْ عَبْدُ بنْ عَمْرٍو وأهْلُ تُفَـاعَ فاحتَلَبُوا قَتِيلا

٦ ــ غَداةَ حَبا لَهُمْ عمْرُو بنْ عَمْرٍو بشِكَّةِ كامِلٍ يدعو جَزِيلا

٧ ــ فَرَدُّوهُ بِشُعْلَةِ قَلْسِ تَخَالُ رِدَاءَهُ منهـا طَمِيلاَ

٨ ــ وقامَ مُصَوِّبٌ مِنّا ومنهُمْ وكُلٌّ يَنْتَحِي حَنَقَـاً وبَيِلا

٩ ــ وقامَ مُصَوِّتَانِ بِرَأْسِ عَشْرٍ أقامَ الحربَ والعَيَّ الثَّوِيلا

١٠ــ وغُودِرَ في دِيارِهِـم حُبَيْشٌ وعِيْلَ على الأكَارِسِ أنْ يَؤُولا

١١ــ وعِيْلَ على الحُمولِ ومَنْ عليها فلا سَيْراً يُطِيْقُ ولا حُلُولا

١٢ــ ونُسْلِكهُم مَدَارِجَ بَطْنِ صَرٍّ إلى قَرْنٍ كما سُقْتَ الحَسِيلا

١٣ــ كأنَّ نِسَاءَهُم بَقَرٌ مِرَاجٌ خِلالَ شَقَائقٍ تَطَأُ الوُحُولاَ

١٤ــ لهُنَّ صَواعِقٌ يَعْرِفْنَ فينا بَنِي الأخَواتِ والنَّسَبَ الدَّخِيلا

١٥ــ بكُلِّ خَبِيبَةٍ ومَجَازِ عَرْضٍ تَرى نَمَطاً يُطَوِّحُ أو خَمِيلا

١٦ـ فَلَمَّا انْ هَبَطْنَا القَاعَ رَدُّوا غَوَاشِيَنَا فَأَدْبَرْنَا حُفُولا

١٧ـ وقامَ لنا بِبَطْنِ القَاعِ صِيْقٌ فَخَلَّى الوازِعُونَ لَنَا السَّبِيلا

١٨ـ فَأَدْرَكْنَا دعاهُم من بَعِيدٍ نَهُوزُ البِيْضَ يَشْفِينَ الغَلِيلا

١٩ـ فَأَيَّا مَا رأيتَ نظرتَ طَرْفاً عليهِ الطَّيْرُ مُنْعَفِراً تَلِيلا

٢٠ـ فلَمَّا أنْ رأيتُ القَوْمَ فَلُّوا فلا زَنْداً قَبَضْتُ ولا فَتِيلا

٢١ـ حَبَكْتُ مَلاءَتي العُلْيَا كأَنِّي حَبَكْتُ بِهَا قَطَامِيَّاً هَزِيلا

٢٢ـ كأن ملاءتيَ على هجفَ أحسَّ عشيَّة ريحاً بليلا

٢٣ـ على حَتِّ البُرَايَةِ زَمْخَرِيٍّ السَّواعِدِ يَنْبَرِي رَتَكاً زَلِيلا

٢٤ـ وأَدْبَرَ عايِذٌ البَقْمِيِّ شَدّاً يَكُدُّ الصَّدَّ والحُزُنَ الرَّحِيلا

٢٥ـ وغَادَرْنَا وغادرَ مَوْلَيَانَا بِقَاعِ أَبِيْدَةَ الوَعْمَ المَطِيلا

معقر بن حمار البارقي

شاعر جاهلي آخر من شعراء الجودة المقلين ، وفارس منفرسان الجاهلية ، اسمه عمرو بن سفيان(١) بن حمار بن الحارث بن اوس ، وبارق من الأزد(٢) ، وقيل اسمه سفيان بناوس بن حمار ، وسمي معقرا بقوله في قصيدته الرائية المشهورة :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

وفي هذه القصيدة بيته الذائع المشهور :

والقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالاياب المسافر

ويتمثل به الناس كثيرا من قديم ، وكانت عائشة قدانشدت هذا البيت لما بلغها موت علي بن ابي طالب(٣) .

ظالمنا صورة الشاعر وهو كبير قد كف بصره ، وله علمدقيق بالسحاب والمطر ، فكانت ابنته تقوده يوما ، وقد سمع صوت رعد فقال لابنته : يا بنية اي شيء ترين ؟ قالت : سحماءعلقة ، كانها حولاء ناقة ، ذات هيدب دان ، وسير وان ، فقال: يابنية ، واثلي الى قفلة ، فانهـا لا تنبت الا بمنجساة منالسيل(٤) .

كان حليفا لبني نمير بن عامر بن صعصعة ، وشهد معهمبوم شعب جبلة ، وذكر القصيدة الفائية يمدح بها بني نمير ويعرض ببني ذبيان :

وذبيانيـة وصـت بنيهـا بان كذب القـراطف والقـروف
تجهزهم بمـا وجـدت وقالـت بني فـكلكم بطـل مسـيف
فاخلفتـا مودتهـا ففاظـت وماقيء عينهـا حـدل نطـوف

حكى ان فعلوا ببني ذبيان في ذلك اليوم ،وكانت الذبيانيةوصت بنيها ان يشتموا القطائف وهي القراطف والقروف وهي اوعية من ادم ينتبذ بها ، وقد خاب املها وقتل ابناؤها فبقيتدامعة العين حزينة القلب في حي هاربين خائفين غير مطمئنين(٥) .

وكانت قد خرجت نمير (١) في ذلك اليوم ومعهم بارق (حيمن الازد حلفاء بومثل لبني نمير) فولجوا الخليف ـ وهو الطريق بين الشعبين شبه الزقاق ـ لان سهمهم تخلف ، والى هذا يشيرمعقر البارقي(٧) :

---

(١) وقيل عمرو بن حمار بن شجنة ، وقيل عامر حليف لبني نمير ، وبارق هو سعد بن عدي بن حارثة بن عمرو مزيقياء ابن عامر (السمط ٨٣ ـ ٨٤) .
(٢) معجم الشعراء ص ٦ .
(٣) السابق والصفحة .
(٤) السمط ١/٤٤١ .
(٥) السمط ١/٤٨٤ .
(٦) الاغاني ١١/١٢٧ وفيه (تميم) ولعل الصواب (نمير) لان نميرا من عامر بن صعصعة ، اما تميم فقد كانوا اعداء لنمير وللازد وقد دارت الدائرة عليهم .
(٧) الاغاني ١١/١٢٧ .

وتحن الايمنـــون بنـو نمـــــير يســيل بنـا امـامهم الخليـــف

وكان معقر يومئذ شيخا كبيرا اعمى ، ومعه ابنة له تقـودبه جمله ، فكان يسائلها عن الناس واماكنهم في الشعب ومـدى تحصنهم ، فتخبره فائلة ، هؤلاء بنو فلان وهؤلاء بنو فلان ، حتىاذا تناهى الناس قال : اهبطى ، فلا يزال هذا الشعب منيعا سائر هذا اليوم .

وفي هذا اليوم اسر سنان بن ابى حارثة المرى ، وكان علىحامية من بني ذبيان ، ثم منوا عليه املا في توابه كما تزعم بارق، ثم اتوه فلم يصـنع بهم خيرا ، فقال معقر البارقي يحـكي ذلكذلك(٨) :

متى تك في ذبيـان منـك صنيعـة فلا تحمدنها الدهـر بعـد سـنان
يظل بمنيـنا بحســن ثوابـــه لكم مائـــة يحـدو بهـا فرســان

وكان يوم جبلة قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة ، قبـلمولد النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة(٩) .

هذا اهم ما لدينا عن معقر البارقي ، ولا نطمع فيما وراءذلك ، ولكن في شعره الذي وصلنا مادة جيدة ، فيها دلالات على حياته وشخصيته وعصره .

لدينا من شعر معقر قصيدتان ، حفظهما منتهى الطلب ،الاولى رائية في ثلاثة وعشرين بيتا ، وهي ذائعة مشهورة ، دونتها المصادر واستشهد بها ابو عبيدة في النقائض وكذلك ابو الفرجفي الاغاني كاملة ، وحفظت المصادر الاخرى ابياتا منها . امـا الثانية فهي دائية في اربعة وعشرين بيتا ، لم يرد منها في المصادرسوى اربعة ابيات ، وانفرد منتهى الطلب بالقصيدة . وهنـاك قطع وابيات يسيرة وردت في الكتب ، واختلط بعضها باشعارشعراء آخرين .

القصيدة الاولى (الرائية) قالها في يوم شـعب جبلة ،يفتتحها بمشاهد الحمول من آل شمثاء تغادر مع الصبـاح ، ويصاحب في خياله مسيرة حبيبته سلمى حيث تنهي الرحـلةوتلقى عصا التسيار وتستقر ، ولا يخفي شعوره من الخوف الذي يعتري المسافر ، خوف الردى الذي يترصد له في كـل ثنية ، ولكن لم الخوف وكثير من الناس يموتون في ديارهـم بعيدين عن الاسفار .

ويباشر وصف الحرب وذكر رجالها وكتائبها وقبائلهـا ،والمناوشات التي بدات والجموع التي تكاثرت والجيوش التي نعبات ، والغارة التي اندفعت نحو البيوت ، فصدها رجالاشداء منهم برماحهم ، وهؤلاء الرجال كثيرا ما يفرجون عن قومهم الغمات ، فهم فرسان مقاتلون كانهم سراحين في سرعتهم نحـوالقتال ، او كانهم صقور اصابها البلل فانطلقت نحو صغيرها في عشه الذي مهدته له كما تمهد المراة الحسناء العاقر حالهـاالزوجها .

ويقف الشاعر عندمقاتلة بطلين عدوين هما زهدموحاجب ويصور شدةالمقاتلة ،فقد هوى الاولللآخر تحت العجاجةكانه عقاب بنقض على فريسته ، فكلاهما بطل يبغي النصر ويقاتل دونقومه ، فها هما قد التحما وتماسكا ، عليهما الدروع وقد حسرت الرؤوس ، وحضن زهدم حاجبا وانشب الظافره في رقبته ، ثمالتقى الفريقان واستعرت وظهر قوم الشاعر فاسروا من خصومهم، وباتوا يسمرون ويسمعون العزف والغناء ، وباب خصومهم بينأسير ومتربص بنتظر الصباح ، وتنتظره كتائب ضخمة كاركان جبل سلمى ، وايقن القوم انهم مقتولون لا محالة ، واضحـىاكثرهم صريعا ولم ينج منهم الا من لاذ بالفرار .

جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين ١٢٢–١٢٣ .

(وجاءت القصيدة مع خلاف في ترتيب الابيات في النقائضص ٦٧٦–٦٧٧ والاغاني ١٦٠/١١–١٦٢ بنقص البيت الثالـث في المصدرين وزيادة بيت بعد البيت الحادي عشر هو قوله :

تخاف نســاء يبتدرن حليلهـــا معردة قـــد حردتهـــا الضرائـــر

والابيات : ٣ ، ٤ ، ١١ في معجم الشعراء ص ٩ مع بيتجديد هو :

وخبرها الوراد ان ليس بينهـــا وبين قـرى نجـران والدرب كافـر

والابيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٩ ، ١٠ في الحماسة البصرية١/٧٦ .
والبيتان : ١٠ ، ١١ في الحيوان ٣٨/٧ نسبها لدريد بنالصمة .
والبيت : ١٠ في المعاني الكبير ١٣/١ . والبيت ١١ فيالمعاني الكبير ٢٨٢/١ والسمط ٤٨٤/١ . والبيت ١٢ في السمط ٧٥١/٢ .)

وقال معقر بن حمـار

ابن الحارث بن حمار بن شـجنة بن مازن بنثعلبة بن كنانة بن سعد وهو بارق بنعدي بن حارثة ابن الغطريف بن عمرو من بقياء بن عامر ماء السـماءبن ثعلبة العنقاء بن امرىء القيس قاتل الجوع بن

(٨) الاغاني ١٥٩/١١ . ٩٠ الاغاني ١٦٠/١١ .

مازن بن الازد ، وكان قومه قد حالفوا بني نمير بن عامر في الجاهلية لدم اصابوه في قومهم وشهدوا يوم جبلة ، وكان معقر كفّ بصره ، وكان قبل ذلك من فرسانهم وشعرائهم ؛ ويوم جبلة قبل الاسلام بخمس وسبعين سنة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة .

١ ـ أَمِنْ آلِ شَعْشَاءَ الخُمُولُ البَوَاكِرْ
مع الصُّبْحِ قد زالَتْ بهِنَّ الأَباعِرْ

٢ ـ وحَلَّتْ سُلَيْمَى في هِضَابٍ وأيكَةٍ
فلَيْسَ عليهَا يومَ ذلكَ قادِرْ

٣ ـ تُهِيبُكَ الأسفَارْ من خَشْيَةِ الرَّدَى
وكم قد رأَيْنَا من رَدٍ لا يُسَافِرْ

٤ ـ وألقَتْ عصَاها واسْتقرَّتْ بها النَّوَى
كَمَا قَرَّ عَيْنًا بالإيَابِ المُسَافِرْ

٥ ـ فصَبَّحَهَا أملاكُهَا بكَتيبَةٍ عليها إذا أَمْسَتْ من اللَّهِ ناظِرْ

٦ ـ مُعَاوِيَةُ بنُ الجَوْنِ ذُبْيَانُ حَوْلَهُ
وحَسَّانُ في جَمْعِ الرِّبَابِ مُكَاثِرْ

٧ ـ وقد جَمَعَا جَمْعًا كأنَّ زُهَاءَهُ جَرادٌ سَقَى في هَبْوَةٍ مُتَظَاهِرْ

٨ ـ ومَرَّدوا بأطْرافِ البيُوتِ فردَّهُمْ رِجَالٌ بأطْرَافِ الرِّمَاحِ مَسَاعِرْ

٩ ـ يُفَرِّجُ عنَّا كلَّ ثَغْرٍ مَخَافَةٌ جَوَادٌ كسِرْحَانِ الأبَاءَةِ ضَامِرْ

١٠ـ وكُلُّ طَمُوحٍ في الجِرَاءِ كأنَّهَا إذا أغتمسَتْ في المَاءِ فتخَاءُ كاسِرْ

١١ـ لها ناهِضٌ في المَهْدِ قد مهَّدَتْ لهُ كما مهَّدَتْ للبَعْلِ حسنَاءُ عاقِرْ

١٢ـ هَوَى زهْدَمٌ تحتَ الغُبارِ لحاجبٍ كما انتَضَّ أقْنَى ذو جَنَاحَيْنِ فاتِرْ

١٣ـ هُمَا بطَلانِ يَعْتَوِرانِ كِلاهُمَا
يُرِيدُ رِيَاسَ السَّيْفِ والسَّيْفُ نَادِرْ

١٤ـ فلا فَضْلَ إلاَّ أنْ يكونَ جَرَاءَةٌ ذوي بَدَنَيْنِ والرُّؤُوسُ حَوَاسِرْ

١٥ـ يَنُوءُ وكَفَّا زَهْدَمٍ من ورَائِهِ وقد عَلِقَتْ ما بينَهُنَّ الأظَافِرْ

١٦ـ وبَاتُوا لنَا ضَيْفًا وبِتْنَا بنعمَةٍ لنَا مَسْمِعَاتٌ بالدفُوفِ وسَامِرْ

١٧ـ فلم نَقْرِهِمْ شيئًا ولكنَّ قَصْرَهُمْ
صَبُوحٌ لدينَا مَطْلِعَ الشَّمْسِ حَازِرْ

١٨ـ فَبَاكَرَهُمْ قبلَ الشُّروقِ كتائِبٌ كأَرْكَانِ سَلْمَى سَيْرُهَا مُتَوَاتِرْ

١٩ـ مـن الضَّـارِبِينَ الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُـــه
إذا غَصَّ بالرِّيـقِ القَلِيـــلِ الحَنَاجِـــرُ

٢٠ـ وظَنَّ سَراةُ الحَيِّ أنْ لن يُقَتَّلُوا إذا دُعِيَتْ بالسَّفْحِ عَبْسٌ وعَامِرُ

٢١ـ كَأَنَّ نَعَـامَ الدَّوِّ باضَ عليهِـمِ وأعْيُنُهُمْ تحتَ الحَبِيكِ جَواحِرُ

٢٢ـ ضَرَبْنَا حَبِيكَ البَيْضِ في غَمْـرِ لُجَّـــةٍ
فلـم يَنْـجُ في النَّاجِـيـنَ منهـم مُفَاخِـرُ

٢٣ـ ولم ينـجُ إلاَّ أنْ يكونَ طِـرِمَّةً نَوائِلُ أو نَهْـدٌ مُلِحٌّ مُثَابِـرُ

* * *

واما القصيدة الثانية (اللائية) فيفتتحها بالغزل وقربرحيل الاحبة وتصوير لوعة الفراق ووصف حبيبته حين تراءت له يوم نخل بقاعتها المشوفة وعلى وجهها النصيف ، وثغرها المتلالىء باسنانها البيض ، وظلمها الذي كانه خمر معتقة اصابتها ريح الشمال . ثم يسلم الموضوع الى ذكر يوم شعب جبلة ،وكيف هاجت الحرب ، وتقدم حبتر فصرع لقيطا ، وقد كثر الصرعى في هذا اليوم ، واجتثت سيوفهم رؤوس القوم فتراهامنتشرة في الارض كانها حدج نقيف ، واشتد القتال وحامى كل فريق من حسبه وقومه ، وصارت السيوف بايديهم كانها مخاريقالصبية ، ثم يصف قوة جيشهم ومنعة كتيبتهم التي تصدم الاعداء وتضرجهم بدمائهم ، ويعرض بني ذبيان ، فيحكي قصة امراةذبيانية وصت بنيها ان يحسنوا القتال ويكسبوا الغنائم ، ولكنها خابت وقتل ابناؤها ، وقعدت تندب حظها وتبكي بنيها ، وتنوحفي كل مأتم ، مواصلة اللطم والبكاء .

ولا ينسى الشاعر ان يرثي من صرع من قومه ، فهذاابو رواحة ، نبكيه خيله وفصيانه ، وهذه الحرب قد طالت واشتدت فاناخ الجانبان ، وكان الايمنون بنو نمير في موضعالخليف وهم احلاف بارق قوم الشاعر . وانجلت الحرب عن فوز قومه واحلافهم بعد ان صبروا واحسنوا القتال ، وساقوا امامهم نساء الاعداء سبايا ذليلات باكيات معهن اطفالهن . ولم ينج من سيوفهم الا من رزق الحياة بالهرب على ظهر فرس فتيةسريعة ، ثم يعرج على قومه فيثني عليهم ويتمدح بخصالهم .

جاء في منتهى الطلب الجزء الخامس الورقتين ١٢٣ـ١٢٤ :

(وورد من القصيدة الابيـــات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ في السمط ٨٣ـ٨٤) ، والبيتان : ١٤ ، ١٥ في المعاني الكبير ص ٢٨١ والبيت : ١٤ في ص ٨٠٤ ، والبيت : ٢٠ في الاغاني ١٢٧/١١) .

وقال معقـر في زيـد

١ ـ أَجَدَّ الرَّكْبُ بعدَ غَدٍ خُنُوفُ وأَضْحَتْ لا تُواصِلُكَ الأَلُـوفُ

٢ ـ وكانَ القلبُ جُنَّ بها جُنُونَا ولـمْ أَرَ مِثْلَهـا فيمَنْ يَطُـوفُ

٣ ـ تراءَتْ يـومَ نَخْـلَ بمُسْبَكِرٍّ تَرَبَّبَـهُ الذَّرِيرَةُ والنَّصِيفُ

٤ ـ ومَشْمُولٍ عليـه الظَّلْـمُ غُـرٍّ عِـذابٍ لا أَكَشُّ ولا خَلُـوفُ

٥ ـ كأَنَّ فَضِيضَ رُمَّـانٍ جَنِيٍّ وأُتْرُجَّ لأَيْكَتِـهِ حَفِيفُ

٦ ـ على فِيهـا إذا دَنَتِ الثُّرَيَّا دُنُوَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَهـا الضَّعِيفُ

٧ ـ أجادَتْ أُمَّ عَبْدَةَ يومَ لاقَوْا وثارَ النَّقْـعُ وأخْتَلَفَ الأَلُـوفُ

٨ ـ يُقَـدِّمُ حَبْتَراً بأَقَلَّ عَضْبٍ لَـهُ فَثِبَـةٌ لَمَـا نالتْ قُطُـوفُ

٩ ـ فَصَـادرَ خَلْفَـهُ يَكْبُـو لَقِيطاً لَـهُ مِنْ حَـدِّ واكِفَـةٍ نَصِيفُ

١٠ـ كأنَّ جَماجِمَ الأبطالِ لمَّا تَلاقِيْنَا ضُحَىً حَدَجٌ نَفِيْفُ

١١ـ وحامَى كلُّ قَوْمٍ عن أبِيهِمْ وصارتْ كالمَخارِيقِ السُّيُوفُ

١٢ـ ترى يُمْنَى الكَتِيبةِ مَنْ يَلِيهَا يَخِرُّ على مرافِقِهَا الكُتُوفُ

١٣ـ لنَا شَهباءُ تنفِي مَن يَلِينَا مُضَرَّجَةٌ لها لَونٌ خَصِيْفُ

١٤ـ وذُبْيانِيَّةٍ أوصَتْ بَنِيهَا بأنْ كَذَبَ القَرَاطِفُ والقُرُوفُ

١٥ـ تُجَهِّزُهم بما وجدَتْ وقالتْ بَنِيَّ فكُلُّكُمْ بَطَلٌ مُسِيْفُ

١٦ـ فأخلَفْنَا مودَّتَها فَقَاظَتْ ومَاقِيءُ عينِهَا حَدِلٌ نَطُوفُ

١٧ـ إذَا ما أبْصَرتْ نَوْحاً أتَتْهُ تُرِنُّ ورَجْعُ كَفَّيْهَا خَنُوفُ

١٨ـ لِيَبْكِ أبا رَوَاحَةَ جَمْلٌ خَيْلٍ وقومٌ قد أعزَّهمُ المُضِيْفُ

١٩ـ يُنَادِي الجَانِبانِ بِأنْ أنِيخُوا وقد عَرَسَ الأناخَةَ والوُقُوفُ

٢٠ـ وكان الأيمنُونَ بني ثُمَيْرٍ يَسِيرُ بِنَا أمامَهُمُ الخَلِيْفُ

٢١ـ فلا جُبْنٌ فيَنْكَلُ إنْ لَقِيْنَا ولا هَزْمُ الجُيوشِ لنَا ضَرِيْفُ

٢٢ـ تَرَكْنَا الشِّعْبَ لم نَعْقِلْ إليهِ وأسْهَلْنَا كما عَلِمَ الحَلِيْفُ

٢٣ـ نَسُوقُ به النِّسَاءَ مشَمِّرَاتٍ يُخَالِطُهَا مع العَرَقِ الخَشِيْفُ

٢٤ـ إذا اسْتَرْخَتْ حِبَالُ القَوْمِ شُدَّتْ ولا يَثْنِي لقَائِمَةٍ وَظِيفُ

٢٥ـ تَرَكْنَ بطُونَ صَارَاتٍ بِلَيْلٍ مطَافِيلَ الرِّبَاعِ بها خُلُوفُ

٢٦ـ فظَلَّ بذِي معارِكَ كلُّ مُرْبَأ ونَجَّى ربَّهُ الهَزِمُ الخَمِيفُ

٢٧ـ من الثَّلاثِي سنابِكُهنَّ شُمٌّ أخَفُّ مُشَاشَهُ لَبَنٌ وَرِيْفُ

٢٨ـ يُؤَبِّنُهُ واللَّهِيفَ بواردَاتٍ كما يتعَاوَتُ الحِيُّ النَّرِيْفُ

٢٩ـ فلمَّا أنْ هزَمْنَا النَّاسَ جاءتْ (وفودٌ)[١٠] من ربيعَتِنا تَرِيفُ

٣٠ـ وشِقٌّ ساقِطٌ بضُلوعِ جَنْبٍ رَجُوفُ الرِّجْلِ منطِقُهُ نَسِيفُ

٣١ـ أغرُّ كأنَّ جبهَتَهُ هِلالٌ نِظَامِ الجَارِ والمَوْلَى عَيُوفُ

(١٠) في الاصل : (جاءت من ربيعتنا تزيف) ولايستقيم البيت فهناك سقط قدرته بكلمة مناسبة هي (وفود) أو (نساء) وهكذا .

عبيد بن عبدالعزى السلامي

في الجزء الخامس من منتهى الطلب(١) الصفحات ١٢٦ـ١٢٩ثلاث قصائد لعبيد بن عبدالعزى السلامي أحد بني سلامان بن مفرج ، وهو ابن عم الشنفرى . وهذا التعريف الذي يصدرشعر عبيد هو كل ما نعرف عنه ، اذ لم أجد فيما بين يدي من مصادر ذكرا لهذا الشاعر او شعره ، فرأيت بعد تردد طويل انانشر هذا الشعر ليطلع عليه الباحثون فلعل أحد الفضلاء يجد له ذكرا او ترجمة فيرشدني اليه ، وعندها نستطيع ان ندرس شعر هذا الشاعر ، فياخذ مكانه بين شعراء عصره .

ومن شعره نعرف انه أحد الشعراء الجاهليين المجيدين ،ففي شعره قوة ومتانة ولغة عالية وتعبير رصين . وكان ابن مبمون صاحب منتهى الطلب يختار من هذا الشعر الجاهلي النادر الذي يمتاز بالجودة والرصانة وروعة المعاني ، فاختار له ثلاث قصائد هي من عيون الشعر العربي ، ولعلها كل شعره ،وعدة هذه القصائد ثلاثة وثلاثون ومائة بيت .

١ ـ القصيدة الاولى وهي سبعة واربعون بيتا ، جاهليةالنمط والنسج والغرض ، بدأها بالتشوق الى ارض الحمى ، متغزلا برميم حبيبته ، ذاكرا قصته واياها ايام الصبا مع نسوةكالهارى عليهن الشباب المترفة ، يواعدهن ليلة عند كثيب من رمل أعفر ، يقضي واياهن ليلة تمر سريعا كانها ساعة من الزمانيتبادل واياهن طيب الحديث ولذيذ الغزل ، فاذا ما عنّ وقت الفراق قامت النساء وعيونهن ـ كعينيه ـ تذري دمع الفراق،وتنساب امامهن صاحبته رميم كانها افعوان يتثنى بين كثبان الرمل . وبمضي هو في شعره يفيض في غزل قصصي رائع .

ثم يفزع على عادة الجاهليين الى ناقة خوصاء أضر بهاالترحال ، يسلي الهم بها فيقطع الفيافي ويجوز الفلوات عنه بسلو عن حبه العميق . ويعود الى ذات نفسه فيصف اخلاقهوسيرته فهو كريم منلاف عزيز النفس بطل مقدام يعرف مكانه في قبيلته فيبر ابن العم ويصفح عن اساءته فيفرشه ماله ويحفظغيبته ، فهو يعلن ان معاداة ذوي القربى جهل وسفه .

ويقف عند قبيلتهالازد فيذكر مكارمها ويتغنى بمفاخرها،ولا ينسى ابناء عمومته الملوك الحاكمين في الحيرة والشام ، فتراه يفتخر ببني ماء السماء وبالمنذر وآل جفنة ، ويذكر ان النعمانكان قد أخضع لهم القبائل وادانها لهم وبخاصة قيس وخندف وربيعة ، ولا يفوته التنويه بقبائل غسان الشامية .

٢ ـ اما القصيدة الثانية فعدتها تسعة وعشرون بيتا ،بدأها بالوقوف على رسم الديار في موضع الستارين ، فتأمل في الرسم فوصفها ودقق في الوصف ذاكرا ما جرى على الديارمن رياح وامطار اهتزت الارض بعدها بنبات اهيج ، ثم شبه بقايا الديار بآيات الكتاب ، وقد شاقه هذا المنظر فوقف عندهطويلا ودموعه تنحدر من شوق الذكرى متذكرا الاهل والحبيبة والحبيب والعيش الذي كان هانئا رخيا .

ويذكر حبيبته رميم ـ كما في القصيدة الاولى ـ وتراه هنايشكو صدها وهجرانها بعد حب متين وثيق المرى امتد اعواما سعيدة ، لا يمكن ان يسلوها او يتشاغل عنها بغيرها ، وتراهيحلف برب الحجيج الذين اهلوا له وعرفوا بان حب رميم اضناه واسقمه ، فكيف يكون هجر وصدود بعد حب وهوى ، وهكذانجد معالم الدين الجاهلي تتضح في هذا الشعر الذي ينقل الصور القديمة بصدق ووضوح . وكان حب رميم يدعوه الىركوب الاهوال وقطع المفاوز على ظهور ابل رذية اضناهاالسفر مع رفقة من فتيان قومه .

ثم يلخص فلسفته في الحياة كما لخصها طرفة حين قال :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وجدك لم احفل متى قام عودي

... الابيات . وكذلك عبيد بن عبدالعزى يضع امامهثلاثا من لذائذ الحياة هي المنى :

وما العيش الا في ثلاث هي المنى فمن نالها من بعد لا يتخوف

تلك هي ركوبه المخاطر مع صحبة من فتيان قومه على ابلناعجية ، وشربه الخمر الروبة ، وغزله بربة خدر ينفح المسك جيبها وكانها الدعص الهجان المصيف .

٣ ـ اما القصيدة الثالثة فتقع في سبع وخمسين بيتا ،يبدؤها بالوقوف على الرسم الذي هو كالرداء المحبر ، ويعين موضعه برامة بين الهضب والمتغمر ، ثم يصف ما جرت عليه منأحوال ، فقد اسفت الرياح التراب وزعزعت الكثبان ، ثم عرض له سحاب جون فملأ الارض مطرا وسيلا يحط الوعول العصممن كل شاهق ، ولعله تذكر هنا صورة امرىء القيس :

ومر على القنان من نفيانه فانزل منه العصم من كل منزل

وبعد ذهاب السيل تتجلى الرسوم فاذا هي (اساطير وحي في قراطيس مقتري) ، وهي صورة الح عليها الشعراء الجاهليون منذ امرىء القيس فحاتم الطائي فابي ذؤيب الهذلي حتى لبيدابن ربيعة(٢) . وفي وقفته تلك على الديار تطيف به الذكريات الفراق والرحيل وعوادج الاحبة على ابل ضخمة عليها جواريبيض نواعم لم يشهدن بؤس العيش ، ويتغزل من حديثه عن المرأة

---

(١) انظر وصف هذا الجزء والجزء الثالث في مجلة البلاغ العددين ٥ ، ٦ سنة ١٩٧٥ .

(٢) الشعر الجاهلي ـ يحيى الجبوري ص ٧٤ـ٧٥ .

وسيلة للحديث عن كرمه وايثاره ، فالمراة تلومه على اتلافه المال وانفاقه على الجار والاضياف والمعسرين ، وقد نحا في هذه القصيدة نحو حاتم الطائي الذي يتخذ الحوار مع المراة وسيلة للحديث عن جوده ونداه :

اعاذل ان الجود ليس بمهلكي ولا مخلد النفس الشحيحة لؤمها

فيقول :

اعاذل ان الجود لا ينقص الفتى ولا يدفع الامساك عن مال مكثر

وكذلك يتخذ هذا الحديث سببا للحديث عن مكارم قومه بني سلامان ذوي المجد العريق الذين يأوى اليهم الناس فيامنون في جوارهم وينعمون بخيراتهم ويشبعون من قراهم . وقومه سادة نجب لا ينقض الناس قولهم ، وهم ابطال ذوو عدد يسيرون الى الموت في كتيبة مدججة بالسلاح قد وطنوا بني هلال في ايام مشهودة ، وكذلك ابادوا سراة فيس وسقوا بني عبس كؤوس الردى ، وكذلك فعلوا بلهم ونقيف وقشير وسليم بن منصور وخثعم وغيرهم . وتتجلى في شعره صورة الحرب وما فعلوا بالقبائل هائلة مروعة ، فقد نالوا من الاقوام ، وامتنعوا فلم ينل احد منهم ، ويمضي يفخر بعزة قومه وقوتهم ويعدد بطونهم ويبين فضائلهم فهم سادة فرسان ملوك .

وهذه القصائد كلها على نسق واحد من متانة اللغة وقوة التعبير ودقة الاداء والنسج الجاهلي العالي الجميل .

— ١ —

وقال عبيد بن عبدالعزى السلامي احد بني سلامان بن مفرّج وهو ابن عم الشنفرى :

(من الطويل)

١ ــ الا هل فؤادي إذْ صبا اليومَ نازعُ وهل عيشنا الماضي الذي زالَ رايعُ

٢ ــ وهل مثلُ أيامٍ تكنفنَ بالحِمَى عوايدُ أو عَيشُ الستارَينِ راجعُ

٣ ــ كأنْ لم تجاورْنا رميمٌ ولم نَقُمْ بفيضِ الحِمَى إذ أنتَ بالعيشِ قانعُ

٤ ــ وبُدِّلتُ بعدَ القربِ سُخْطاً وأصبحتْ مضَابِعةً وأستشرفتْكَ الأضابعُ

٥ ــ وكلُّ قَرينٍ ذي قَرينٍ يَوَدُّهُ سيفجَعُه يوماً من البَيْنِ فاجعُ

٦ ــ لعَمْري لقد هاجتْ لكَ الشوقَ عَرْصةٌ بمَرعانَ تحفُوها الرياحُ الزعازعُ

٧ ــ بها رَسمُ أطلالٍ وخَيْمٌ خَواشعٌ على آلِهنَّ الهاتِفَاتُ السَّواجِعُ

٨ ــ فظَلْتُ ولم تعلمْ رَميمُ كأنَّني مُهَمٌّ أُثَنِّهُ الديونُ الخوالعُ

٩ ــ تذكَّرَ أيامَ الشبابِ الذي مضَى ولمَّا ترُعْنَا بالفِراقِ الروايعُ

١٠ــ بأهلي خليلٌ إنْ تحملتْ نحوَهُ عصاني وانْ هاجرتُه فهو جازعُ

١١ــ وكيفَ التعزِّي عن رميمَ وحبِّها على النأيِ والهِجرانِ في القلبِ نافعُ

١٢ــ طُويتُ عليهِ فهو في القلبِ شَامةٌ شَريكُ المنايا ضَمَّنتْهُ الأضالعُ

١٣ــ وبِيضٍ تَهادَى في الرِّياطِ كأنَّها نِهَى لَسْلَسٍ طابتْ لهن المراتعُ

١٤ــ تَخيرنَ مِنَّا موعِداً بعد رِقْبَةٍ بأعْفَرَ تعلوهُ الثُروجُ الدوافعُ

١٥ـ فجئن هُدُوّاً والثيابُ كأنّها ... من الطَّلِّ بلّتْها الرِهامُ النواشِعُ

١٦ـ جَرَى بيننا منهم رسيسٌ يزيدُنا ... سَقاماً إذا ما أستَيقنتْهُ المسامِعُ

١٧ـ قليلاً وكان الليلُ في ذاكَ ساعةً ... فقُمْنَ ومعروفٌ من الصُبحِ صادعُ

١٨ـ وأدْبَرْنَ من وجهٍ بمثلِ الذي بِنا ... فسالتْ على آثارهنّ المدامِعُ

١٩ـ يُزَجِّينَ بِكْراً ينهَزُ الرَّيْطُ مشْيَها
كما مارَ ثُعْبانُ الفَضا المتَدافِعُ

٢٠ـ تُبادِرُ عينيها بكُحْلٍ كأنّهُ ... جُمانٌ هوَى من سِلْكِهِ متتابِعُ

٢١ـ وقُمنا الى خَوصٍ كأنّ عُيونَها ... قِلاتٌ تَراخَى ماؤُها فهو واضِعُ

٢٢ـ فَولّتْ بنا تغشَى الخَبارَ مُلِحّةً ... معاً حَولَها واللاقِحاتُ الملامِعُ

٢٣ـ وإنّي لصَرّامٌ ولم يُخْلَقِ الهَوى ... جميلٌ فراقي حينَ تبدو الشرايعُ

٢٤ـ وإنّي لأستبقِي إذا العسرُ مَسّني ... بشاشةَ نفسِي حينَ تُبلَى المنافعُ

٢٥ـ وأغفِي عن قومي ولو شِئْتُ نَوّلُوا ... إذا ما تشَكّى المُنحِفُ المتضارعُ

٢٦ـ مخافةَ أنْ أقلَى إذا شِئتُ سائِلاً ... وترجِعَني نحوَ الرِّجالِ المطامِعُ

٢٧ـ فأسْمعَ مِنّا أو أُثَرِّفَ مُنْعِماً ... وكلٌ مُصَادي نِعمةٍ متواضِعُ

٢٨ـ وأعْرِضُ عن أشياءَ لو شِئتُ نِلتُها ... حَياءٌ إذا ما كان فيها مَقَاذِعُ

٢٩ـ ولا أدفعُ ابنَ العمِّ يمشي على شَفَا ... ولو بلغتْنِي من أذاهُ الجَنادِعُ

٣٠ـ ولكنْ أواسِيهِ وأنْسَى ذُنوبَهُ ... لترجِعَهُ يوما إليَّ الرواجِعُ

٣١ـ وأُفرِشُهُ مالي وأحفَظُ غَيْبَهُ ... ليسمعَ إني لا أُجازِيهِ سامِعُ

٣٢ـ وحسبُكَ من جَهْلٍ وسُوءِ صَنيعةٍ ... مُعَاداةُ ذِي القُربَى وان قيلَ قاطِعُ

٣٣ـ فأسلِمْ عنَاكَ الأهلَ تَسْلَمْ صُدورُهم
ولابُدَّ يوماً أن يروعَكَ رائِعُ

٣٤ـ فتبلُوهُ ما سلّفْتَ حتى يَرُدَّهُ ... إليكَ الجَوازي وافِراً والصَّنَائِعُ

٣٥ـ فإنْ تَبْلِ عفواً يُعْفَ عنكَ وان تكُنْ
تُقارِعْ بالأخرى تُصِبْكَ القَوارِعُ

٣٦ـ ولا تبتَدِعْ حَرْباً تُطِيقُ اجتنابَها ... فيَلْحَمَكَ الناسَ الحروبَ انبدايعُ

٣٧ـ لَعمري لنِعْمَ الحيُّ إنْ كُنتَ مادِحاً ... همُ الأزدُ إنَّ القولَ بالصدقِ شايعُ

٣٨ـ كِرامٌ مساعيهم جِسامٌ سَماعُهم ... إذا ألغَتِ الناسَ الأمورُ الشرايعُ

٣٩ـ لنا الغُرَفُ العُليا من المجدِ والعُلى ... ظَفِرنا بها والناسُ بعدُ توابعُ

٤٠ـ لنا جَبَلا عِزٍّ قديمٌ بناهُما ... تَليعانِ لا يألوهُما من يُتَانِعُ

٤١ـ فكم وافدٍ منا شريفٌ مقامُه ... وكم حافظٍ للقِرْنِ والقِرنُ وادعُ

٤٢ـ ومن مُطْعِمٍ يومَ الصَّبا غيرَ حامدٍ ... إذا شَصَّ عن أبنائِهنَّ المَراضِعُ

٤٣ـ يُشَرِّفُ أقواماً سِوانا ثِيابُنا ... وتبقَى لهم أنْ يَلبسوها سَمَايعُ

٤٤ـ إذا نحنُ ذارَعْنا الى المجدِ والعُلى ... قبيلاً فما يسطيعُنا من يُنازعُ

٤٥ـ ومنّا بنو ماءِ السَّماءِ ومُنْذِرٌ ... وجَفْنَةُ منّا والقُرومُ النَّزَايعُ

٤٦ـ قبائلُ من غسّانَ تسمو بعامرٍ ... إذا انْتَسبتْ والأزدُ بعدُ الجَوامعُ

٤٧ـ أدانَ لنا النُعمانُ قَيْساً وخِنْدِفاً ... أدانَ ولم يمنعْ ربيعةَ مانِعُ

ـ ٢ ـ

وقال عبيد ايضا : (من الطويل)

١ ـ أرسمَ ديارٍ بالسِّتارَيْنِ تَعْرِفُ ... عَفَتْهَا شَمالٌ ذاتُ نِيرَيْنِ حَرْجَفُ

٢ ـ مبكرةٌ للدارِ أيْمَا ثُمامُها ... فيبقَى وأيْمَا عن حَصاها فتَقرِفُ

٣ ـ حَرُونٌ على الأطلالِ من كُلِّ صَيفةٍ ... وفَقَّا عليها ذو عَثَانِينَ أكلفُ

٤ ـ إذا حَنَّ سُكّافُ الربيعِ أمامَها ... وراحَتْ رَواياهُ على الأرضِ تَرْجُفُ

٥ ـ فلم تدَعِ الأرواحُ والماءُ والبِلَى ... من الدارِ إلا ما يَشُوقُ ويشْعَفُ

٦ ـ رسُوماً كآياتِ الكِتابِ مُبِينَةً ... بها للحزينِ الصَّبِّ مبكَى وموقِفُ

٧ ـ وقفتُ بها والدمعُ يجري حَبَابُهُ ... على النَّحْرِ حتَّى كادتِ الشمسُ تَكْسَفُ

٨ ـ تذكَّرتُ أيّاماً تسَلَّفْتُ لِينَها ... على لذةٍ لو يُرجَعُ المتَسَلَّفُ

٩ ـ كأنكَ لم تعهدْ بها الحَيَّ جِيرَةً ... جميعَ الهوى في عَيْشهِ ما تَصَرَّفُ

١٠ـ إذْ الناسُ ناسٌ والبِلادُ بغِبْطَةٍ ... وأنتَ بها صَبٌ القَرينةِ مُؤلِفُ

١١ـ وقد كانَ في الهِجْرانِ لو كنتَ ناسياً ... رميمَ وهل يَنْسَى ربيعٌ وصَيِّفُ

١٢ـ ولم تُنْسِنِي الأيامُ والبَغْيُ بيننَا ... رَمِيمُ ولا قَذفُ النَّوى حينَ تَقْذِفُ

١٣ـ ولم يَحْلُ في عيني بَدِيلٌ مكانَها ... ولم يلتبِسْ بي حَبْلُ مَنْ ينعطِّفُ

١٤ـ وقد حلَفتْ والسِّتْرُ بيني وبينَها ... بربٍّ حَجيجٍ قد أهَلُّوا وعرَّفُوا

١٥ــ على ضُمَّرٍ في المِيس ينفُخْنَ في البُرَى
إذا شابكتْ أنيابُها اللَّجْنَ تَصْرِفُ

١٦ــ لقد مسَّني منكِ الجَوى غيرَ أنَّني كما يخشَى على ذاكَ أحلِفُ

١٧ــ وكان صُدودٌ بعدَ ما أبطنَ الهوى قلوباً فكادتْ للذي كان تنجْنَفُ

١٨ــ كتَركِ الأميمِ الهائمِ الماءَ بعدَما تَنحَّى بكفَّيهِ يَسُوفُ ويَعْرِفُ

١٩ــ وداويَّةٍ لا يأمنُ الركبُ جَوزَها بها صارخاتُ الهامِ والبومِ يهتِفُ

٢٠ــ دَعانِي بها داعي رُميمٍ وبيننَا بهيمُ الحَواشي ذو أهاويلَ أغْضَفُ

٢١ــ تَقحَّمْتُ ليلَ العِيسِ وهي رذِيَّةٌ وكلَّفتُ أصحابي الوَجِيفَ فأوجفَوا

٢٢ــ لنخبرَ عنها أو نَرَى سَرْوَ أرضِها وقد يُتْعِبُ الركبَ المحِبُّ المكلَّفُ

٢٣ــ ولو لم تَمِلْ بالعِيسِ معويَّةُ العَرَى لمالَ بها أيكٌ أثيثٌ وغِرْيَفُ

٢٤ــ ومكنونةٌ سُودُ المجَاثِمِ لم يَزَلْ يُهيِّئُها لِلعيكَتينِ التلهُّفُ

٢٥ــ وما العيشُ إلا في ثلاثٍ هي المُنَى فمَنْ نالَها من بعدُ لا يتخوَّفُ

٢٦ــ صِحَابةُ فِتيانٍ على ناعجيَّةٍ مناسِمُها بالأمعزِ المَحْلِ تَرْعُفُ

٢٧ــ وكأسٌ بأيدي الساقِيَيْنِ رَوِيَّةٌ يُمِدانِ راووقَيهما حين تُنْزَفُ

٢٨ــ وربَّةُ خِدْرٍ ينفُحُ المِسْكَ جَيْبُها تضَوَّعَ ريَّاها به حينَ تَصْدِفُ

٢٩ــ إذا سُلِبَتْ فوق الحَشِيَّاتِ أشرَقَتْ
كما أشرقَ الدِّعْصَ الهِجانُ المُصَيَّفُ

ــ ٣ ــ

وقال عبيد ايضا : (من الطويل)

١ ــ أتعرِفُ رَسْماً كالرِداءِ المُحَبَّرِ برامةَ بين الهضْبِ والمتغَمَّرِ

٢ ــ جرتْ فيه بعدَ الحيِّ نَكْبَاءُ زَعْزَعٌ بهَبْوةِ جَيْلانٍ من الترْبِ أكدَرِ

٣ ــ ومرتَجِزٌ جَوْنٌ كأنَّ رَبابَهُ إذا الريحُ زجَّتْهُ هِضابُ المُشَقَّرِ

٤ ــ يَحُطُّ الوُعولَ العُصْمَ من كلِّ شاهقٍ
ويقذِفُ بالثِيرانِ في المتحَيَّرِ

٥ ــ فلمْ يتركا إلا رُسُوماً كأنَّها أساطيرُ وَحْيٍ في قَراطِيسِ مُقْتَرِي

٦ ــ منازلَ قومٍ دمَّنُوا تلَعاتِهِ وسنُّوا السَّوامَ في الأنيقِ المنَوَّرِ

٧ ـ ربيعَهُمُ والصيفُ ثم تحمَّلُوا على جِلَّةٍ مثلِ الحَنِيَّاتِ صُمَّرِ
٨ ـ شَواكِلِ عَجْمَاجٍ كأن زِمامَهُ بِذُكَّارةٍ عَيْطاءَ من نَخْلِ خَيْبَرِ
٩ ـ بهِ من نِضاخِ الشَّولِ رَدْعٌ" كأنَّهُ نُقَاعَةُ حِنَّاءٍ بماءِ الصَّنَوْبَرِ
١٠ ـ كسَوَها سَخامَ الرَّيطِ حتى كأنَّها حدايقُ نَخْلٍ بالبَرُودينِ مُوقَرِ
١١ ـ وقامَ الى الاحداجِ بيضٌ" خَرَايدٌ" نواعمُ لم يلقينَ بؤسَى لمُقفَرِ
١٢ ـ رَبابُ أموالٍ تِلادٍ ومَنْصِبٌ" من الحَسَبِ المرفوعِ غير المقَصَّرِ
١٣ ـ هَدَيْنَ غَضِيضَ الطَّرْفِ خَصْانةِ الحَشَا
قَطِيعَ التَّهادي كاعباً غير مُعْصِرِ
١٤ ـ مبتَّلةً غُرَّاً كأنَّ ثِيابَهَا على الشمسِ غِبَّ الأبردِ المتحَسِّرِ
١٥ ـ قضَوا ما قضَوا من رَحْلةٍ ثم وجَّهوا يمامةَ طَوْدٍ ذي حِمَاطٍ وعَرْعَرِ
١٦ ـ وعاذلةٍ فاديتُهَا أنْ تلومَني وقد علمتْ أنِّي لها غيرُ موئِرِ
١٧ ـ على الجارِ والأضيافِ والسايلِ الذي شَكَا مَعرماً أو مسَّهُ ضُرُّ مُعْسِرِ
١٨ ـ أعاذِلَ إن الجُودَ لا ينقصُ الغِنَى ولا يدفعُ الامساكُ عن مالِ مكثرِ
١٩ ـ ألم تَسْأَلِي والعلمُ يَشْفِي من العَمَى
ذوي العلمِ عن أنباءِ قومي فتُخْبَرِي
٢٠ ـ سلامانَ إنْ المجدَ فينَا عَمَارةٌ" على الخُلُقِ الزاكي الذي لم يُكدَّرِ
٢١ ـ بقيَّةُ مجدِ الأولِ الأولِ الذي بنى مَيْدَعَانٌ ثم لم يتغيَّرِ
٢٢ ـ أولئك قومٌ" يأمنُ الجارُ بينَهُم ويُشفِقُ من صَولاتِهم كلُّ مُخْفِرِ
٢٣ ـ مرافيدُ للمولَى محاشِيدُ للفِرَى على الجَارِ والمستأنِسِ المتنوِّرِ
٢٤ ـ إذا ظِلُّ قومٍ كان ظلَّ غَيَايَةٍ تَذَعْذِعُهِ الأرواحُ من كلِّ مفْجَرِ
٢٥ ـ فإنَّ لنا ظِلاًّ تكاثفَ وانطوتْ عليه أراعيلُ العديدِ المجمهَرِ
٢٦ ـ لنا سادةٌ" لا ينقضُ الناسُ قولَهم ورَجْراجةٌ" ذيَّالةٌ" في السَّنَوَّرِ
٢٧ ـ تجِنُّهمُ من نسجِ داودَ في الوغَى سَرابيلُ حِيصتْ بالقَتِيرِ المُسَمَّرِ
٢٨ ـ وَطِئْنَا هِلالاً يومَ ذاجٍ بقوةٍ وصفناهمُ كَرْهاً بأيْدٍ مؤَزَّرِ
٢٩ ـ ويوماً بتَبالٍ ظَمَمْنَا عليهم بظلماءَ بأسٍ ليلُهَا غيرُ مُسْفِرِ
٣٠ ـ وأفناءُ قيسٍ قد أبَدْنَا سَراتَهُم وعَبْساً سقينَا بالأُجَاجِ المُعَوَّرِ
٣١ ـ وأصرامُ فَهْمٍ قد قتلنَا فلم ندَعْ سِوى نِسوةٍ مثلِ البليَّاتِ حُسَّرِ

٣٢ـ ونحن قتلنا في ثقيفٍ وجوّسَتْ ... فوارسُنا نصراً على كل محضَرِ
٣٣ـ ونحنُ صبرنا غارةً مُفْرَجيَّةً ... فُتَيْماً فما أبْقَتْ لهم من مُخَبَّرِ
٣٤ـ ودُسْناهمُ بالخَيلِ والبِيْضِ والقَنَا ... وضَرْبٍ يَفُضُّ الهامَ في كلِ مِغْفَرِ
٣٥ـ ورُحْنا ببيضٍ كالظِباءِ وجَامِلٍ ... طِوالِ الهَوادي كالسَّفينِ المُقَيَّرِ
٣٦ـ ونحنُ صبَحْنَا غيرَ غَدْرٍ بذمَّةٍ ... سُلَيمَ بنَ منصورٍ بصَلْعاءَ مُذْكِرِ
٣٧ـ قتَلناهمُ ثم أصطبحْنَا دِيارَهُمْ ... بخُسْرَةَ في جمعٍ كثيفٍ مخَسَّرِ
٣٨ـ تركنا عَوافي الرُّخْمِ تنشرُ منهمُ ... عَقَارِيَ صرعَى في الوشيجِ المُكسَّرِ
٣٩ـ وبالغَوْرِ نَطْنَا من عليٍّ عصابةً ... ورُحْنَا بذاكَ القَيروانِ المُقَطَّرِ
٤٠ـ وخَثْعمَ في أيامِ ناسٍ كثيرةٍ ... هَبَطْنَاهُمُ هَبْطَ العزيزِ المؤَسَّرِ
٤١ـ سبَيْنَا نساءً من جَليحةَ أُسلمتْ ... ومن راهبٍ فَوضَى لدى كلِّ عسكرِ
٤٢ـ ونحنُ قتلنَا بالنَّواصفِ شَنْفَرَى ... حديدَ السِّلاحِ مُقْبِلاً غيرَ مدبرِ
٤٣ـ ومن سائرِ الحَيَّيْنِ سعدٍ وعامرٍ ... أبَحْنَا حِمَى جبَّارِها المتكبِّرِ
٤٤ـ منَعْنَا سَراةَ الأرضِ بالخيلِ والقَنَا ... وأيأسَ مِنَّا بأسُنَا كلَّ معشرِ
٤٥ـ إذا ما نزلنَا بلدةً دَوَّخَتْ لنا ... فكُنَّا على أربابِها بالمخَيَّرِ
٤٦ـ بنو مُفْرِجٍ أهلُ المكارمِ والعُلَى ... وأهلُ القِبَابِ والسَّوامِ المُعَكَّرِ
٤٧ـ فمنْ للمعالي بعدَ عُثمانَ والنَّدى ... وفصلِ الخِطَابِ والجوابِ المُيَسَّرِ
٤٨ـ وحملِ الملمَّاتِ العِظَامِ ونقضِها ... وإمرارِها والرأي فيها المُصَدَّرِ
٤٩ـ كأنَّ الوفودَ المبتغينَ حِباءَهُمْ ... على فيضِ مدَّادٍ من البحرِ أخضرِ
٥٠ـ فكم فيهِمِ من مُسْتَبيحٍ حِمى العِدى ... سَبُوقٍ الى الغاياتِ غيرِ عَدَوَّرِ
٥١ـ وهوبٍ لطوعاتِ الأزِمَّةِ في البُرَى ... وللأفقِ النَّهْدِ الأسيلِ المعذَّرِ
٥٢ـ نمتهُ بنو الأربابِ في الفرعِ والذُّرَى ... ومن مَيْدَعانَ في ذُبابٍ وجَوْهَرِ
٥٣ـ لُبابُ لُبابٍ في أُروم تمكَّنتْ ... كريمَ غَداةِ المَيْسِرِ المتحضِّرِ
٥٤ـ فأكرمْ بمولودٍ وأكرمْ بوالدٍ ... وبالعمِّ والأخوالِ والمتهضِّرِ
٥٥ـ مُلوكٌ وأربابٌ وفُرسانُ غارةٍ ... يحُوزونَها بالطعنِ في كلِّ محْجَرِ
٥٦ـ إذا نالَهم حَمْشٌ فإنَّ دَواءَهُ ... دَمٌ زَلَّ عن فَوْدَي كميٍّ معفَّرِ
٥٧ـ مُدانيهمِ يُعطِي الدَّنِيَّةَ راغِمَاً ... وإنْ داينوا بَاؤُوا بريمٍ موفَّرِ

أمـرؤ القيس بـن جبلة السـكوني

شاعر جاهلي لا نعرف عنه شيئا ، فقد سكتت المصـــادرعن ذكره ، وعن ايراد شيء من قصيدته ، فقصيدته نادرة لم يرو بيت واحد في مصدر ما على قدر علمي . ورجحت كون الشاعرجاهليا من نسج شعره ، وطريقة صياغته ، والمواضع والاشارات التي وردت فيها ، ونظام القصيدة في نمطها الجاهلي .

تقع قصيدته في اربعة واربعين بيتا ، يبدؤها بالدعـــاءبالسقيا لجارتيه ، معرضا بالوشاة ، يصف جارتيه بانهمـــا هيفاوان صفراوان قد غلبتا على امره ، فحالما يراهما يتحير فيامره فلا يدري اني هداية هو او في ضلال ، فما زال يدعو لهما السماء بمطر جود غزير مسبل ، فيه برد أبيض صاف أتلجتـهريح الجنوب . ويعود الشاعر يذكر منازل حبيبتيه ، فبينـــه وبينهما تلع جبل بسيان من ديار بني سعد ، فمنطقة اللوى ،واللوى واد في ديار بني سليم تكثر في شقوقه نباتات الصليان والحنظل .

ثم يلتفت الى نفسه فيذكر خروجه الى الصيد وجوبـهالفلوات ، فهو يباكر على ظهر ناقة قوية تمدو خببا وارقالا ، يذعر بها الوحش الرابض مع الفجر ، ويتامل في ناقته النشطةالصلبة فيشبهها باتان في حقويها بياض ، فهي حقباء خدد لحمها حمار اسود نشيط كثير الشحيج ، فهو يتبعها ويسوقها ويقدمهابين يديه . اما هذه الاتان ففيها علامات ولها صفات ، فالشعيرات التي تحت حنكها شقراء صهابية ، ضامرة البطن ممشـــوقةالقوام ، وظلت كذلك حتى تكامل سمنها وازداد نشـــاطها ، فاستولى عليها حمار احقب حالك شديد باسل قد نمل شعره ،وهو كربه ضخم الراس شديد الاخدعين ، يصرف هذه الاتان كيف شاء ، طاعمة تارة وكارهة اخرى . وقد ضمها الى اتناخرى ، فهو يدفع تسعا منها نحو الماء ، يراعي هذه ويجسور على تلك اذا هي حردت ، فلما جاء الحمار واتنه الى المـــاءللورود ، اذا بصياد يسميه (ابا بشر) مترصدا لهم ، والصياد يترصد دائما عند الماء حيث يندفع الحيوان نحو الماء ليستقيوهو عطشان ، يشغله الماء عن الحذر ، فيحمل له في ســهامه المنية ، اما هذا الصياد فهو ماهر متهيىء ، يسدد الرميـــةبدقة واتقان ، ويختار من السهام احدها نصلا وافواعا عودا ، فهي سهام متشابهة تلتمع نصالها كانها لظى جمر او ذبـــالمشتعل ، فلما وانت الصائد الفرصة بان كانت الطرائد على مدى الرمية ، وامكنته من جوانبها وصدورها ، رماها بسهم حـادقوي كانه حربة او سيف مستقيم ، فانفذ خاصرتها ، واتبعها وهي هاربة تجاه الوادي بسهم آخر سقط في الرمال ، وترك منهذه الاتن الطعينة التي تكبو على جبينهمـــا ، وتضرب الارض بخدها وصدرها ، ويتفجر الدم الاحمر القارب الى الســوادمن جرحها ، واصطبغت خاصرتها بالدم فغدت كانها ثوب منقوش ملون . اما بقية الاتن فقد انطلقت على غير اتفاق تجد في العدوفهو حرز لها ومنجى .

ويعود الشـــاعر الى حمار الوحش وما كان يتمنى منالاستقاء والارتواء من ماء ثميل وماسل ، ويرعى ما انبت من نمر الاراك ، ولكن الموت كان حيث تكون الامنيات ، فاذا كان قد نجامن الصائد الاول ، فان صائدا آخر هو جبار بن حمزة يترصده وانه وينتقي من سهامه المتشابهة التي كانها خوافي حمام اشدهاحدا وانفذها مقتلا ، اما قوسه فصفراء من غصن نبع ، لهـــا رنين عند الاهتزاز تطلق السهم قويا بعيد المدى .

وتضيق الارض الفضاء بالحمار ، ويزداد رعبه وفزعه حتىلايرى الموت مترصدا له وراء كل مرقب ، وبات حائرا مترددا ايئـــل نحت جنح الظلام مفلسا نحو عين غمازة ، ام يمم للقاءالنباج ونيتل . وحزم امره فلما انكشف وجه الســماء وبان ضوء الفجر انطلق باتنهيدفعها نحوالوهاد مرة، ونحو النجاد مرات،يجتاز اماكن ممتنة مثل ظهاء الشرائع التي تحيط بها لمابة لفاء من اشجار الثيل ، فقطعها مسرعا يخشى ما تخبئه العوى خلفهاحتى اذا بلغت الاتن الفلاة وامنت من الاخطار ، بلغ بها الجهد والعناء فاضحت كانها القداح هزالا .

والشاعر اذ يسوق هذه القصص ومغامرات الحمار والاتن،فانه يحكي مغامرته هو ويصور ما لقيه من جهد وعذاب في رحلة الخوف ، قاطعا المفاوز والفلوات ، ولذلك فهو ينهي القصـــةبالانتقال الى حديث زوجته وما لحظته عليه مـن شـــحوب وهزال ، وتعجب كيف اسرع اليه التغيير واثرت فيه السنون ،فيجيبها بانه ذلك الرجل الهمام السريع الى الخيرات يجوب الصحارى ويقرى الضيف ويهتز للندى ويبذل في سبيله عقيلةماله ، ولذلك فلا يهنأ به الشامتون اذا ما غاله الموت وتواه اللحد ، فستبقى بعده ذكرى حميدة وخصال مجيدة . وهؤلاءالذين يتمنون هلاكه وموته اناس يجهلون فلسفة الدنيا ومانخبئه الاقدار للانسان ، وهم قوم شرهم كثير وخيرهم قليل ، وقـــدزاد من غيظ هؤلاء ما يعرفونه من باسه وشدة بلائه واسراعه الى الغمرات ، وما يعلمونه من جبنهم وخوفهم ، وحاله وحالهـــمكالصقر الشديد الذي يروع عصافير حجران الجنينة اذا اصبح الصبح او حل الظلام .

يقول امرؤ القيس بن جبلة السكوني :(*)

١ ــ إنّي على رغمِ الوشـاةِ لَقَـائلٌ سَقَى الجـارتينِ العـارِضُ المُتَهلِّلُ

(*) القصيدة في منتهى الطلب الجـزء الخـامسالورقة ١٣٩ و ١٤٠ .

١ ــ العارض : السحاب يعترض في الأفق .

٢ ــ من الهيفِ صفراوانِ أتَى أتيحتَا لِعينَيَّ إنّي مهتَــدٍ أو مضَلَّلِ
٣ ــ فما زِلْتُ أدعو اللهَ حتى أستَماهُمَا منَ العَيْنِ جَوْنٌ ذو عَثَانينَ مُسْبِلُ
٤ ــ به بَرَدٌ صافي الجَنُوب تمدُّهُ بنَاتُ مخَاضِ المُزْنِ أبيضُ مُنْزَلُ
٥ ــ ودونَهما من تَلْعِ بُسْيَانَ فاللِّوى أخَاقِيقُ فيهــا صِلِّيَانٌ وحنظَلُ
٦ ــ نباتانِ امَّا الصِّلِّيَانُ فظاهِرٌ وحنظَلُه في باطنِ التَّلْعِ مَسْهِلُ
٧ ــ وقــد أذعَرُ الوَحْشَ الرُّبُوضَ بعِرْمِسٍ
مُضَبَّرةٍ حَرْفٍ تَخُبُّ وتُرْقِلُ
٨ ــ كأنّي على حَقْبَاءَ خَدَّدَ لحمَهــا إرَانٌ وشَحَّاجٌ من الجُونِ مُعْجِلُ

---

٣ ــ استماهما : سقاهما ، ومنه موهت السماءاذا اسالت ماء كثيرا .
العين : هنا المطر الغزير الذي يمطر اياما لايقلع . جون : هنا الاسود وهو صفة للسحاب الممطر ، والجون الابيض ايضا ، من الاضداد . ذوعثانين : اي المطر بين السماء والارض ، وعثنون الريح والمطر : اولهما .

٤ ــ بنات مخاض المزن : اي السحب التي تمدالمطر فتثلجه ريح الجنوب فتجعله بردا .

٥ ــ التلع : جمع تلعة ، ما ارتفع من الارض ،والتلاع مجارى اعلى الارض الى بطون الاودية .
بسيان : جبل من دياد بني سعد ، قال ذوالرمة :
سرت من منى جنح الظلام فأصبحت ببسيان ايديها مع الفجر تلمع
وكانت فيه وقعة لبني قشير على بني اسد ،وبذلك يقول دريد بن الصمة :
رددنا الحي من اسد بضرب وطعن يترك الابطال زورا
تركنا منهم سبعين صرعى ببسيان وابرانا الصدورا
معجم ما استعجم (بسيان) ١/٢٥٠ .
اللوى : واد من اودية بني سليم .
اخاقيق : شقوق في الارض ، ومنه الحديث :(فوقصت به ناقته في اخاقيق جرذان) الصحاح (خقق) . الصليان : نبت له سنمة عظيمةكانها راس القصبة اذا خرجت اذنابها تجذبها الابل ، والعرب تسميه خبزة الابل ، وفي حديثكعب : (ان الله بارك لدواب المجاهدين في صليان ارض الروم كما بارك في شعير سورية)(اللسان : صلا) .

٧ ــ العرمس : الناقة الشديدة ، شبهتبالصخرة ، والعرمس الصخرة .
مضبرة : موثقة الخلق قوية .
حرف : ناقة ضامرة صلبة شبهت بحرفالجبل ، وحرف الجبل : اعلا ، المحدد .
تخب : تعدو ، والخبب ضرب من العدو ،وهو ان يراوح الحيوان بين يديه ورجليه .
ترقل : الارقال ضرب من الخبب .

٨ ــ حقباء : اتان في موضع حقويها بياض .الاران : تابوت خشب ، والاران : كناس الوحشي ، والاران الثور الوحشي ، واراد هنا حمارالوحش . شحاج : كثير الشحيج وهو صوت حمار الوحش . الجون : هنا الاسود لأن حمارالوحش أسود .

٩ ـ صُهَابِيَّـــةُ العُثْنُونِ مخطوفَـــةُ الحَشَـــا
تخَيَّـــلُ للأشـــباحِ غَـــرْباً فتجفِـــلُ

١٠ـ تضمَّنَهـا حتَّى تكاملَ نَـــوءُها إرَانٌ فمُرْفَضُّ الرِّدَاةِ فأيِّـــلُ

١١ـ يَجِدُّ بها في خَفْضِـــهِ وهِبَابِـــهِ أحَدُّ جُمادِيٌّ منَ الحِقْبِ صِنْصِلُ

١٢ـ يُصَرِّفُهَا طَوْعاً وكَرْهاً اذا أبتْ مِصَكٌّ جلتْ عنه العقَايِقُ صَنْدَلُ

١٣ـ ألَدُّ شَـــديدُ الأخدَعينِ بِلِبتِـــهِ من الزُّرِّ آبْلادٌ جَلِيبٌ ومَخْفَلُ

١٤ـ يُعارِضُ تِسْعاً قد نحَاها لِمَوردٍ يجورُ بذاتِ الضِّغْنِ منها ويعـدِلُ

١٥ـ فلاقَى أبا بِشْرٍ على الماءِ راصِـداً به منزَمَاعِ الصَّيْدِ وَرْدٌ وأفْكَلُ

---

٩ ـ صهابية : اي شقراء ، والصهبة : الشقرة . العثنون : شعيرات طوال تحت حنك البعير ، وهو هنا يصف ناقته .
الغرب : الدلو العظيمة ، وكذلك حد السيف غرب ، وفرس غرب : كثير الجري .

١٠ـ تكامل نوؤها : اي سمنها ، تقول نـــات الماشية نـأ ، وهو بدء سمنها حين ينبت وبرها بعد تساقطه . الرداة : بفتح الراء ،الصخرة ، مرفض الرداة : متفرق الصخر ، قال ابن مقبل :

وقافيـة مثـل حـد الـــردا ة لم تتـــرك لمجيب مقـــالا

(اللسان : ردى)

ايّل : موضع من ديار غني ، قال ارطاة بن سهية :

فهيهات وصل من اميمة دونـه اريك فجنبـا ايّـل فالفـوارع

١١ ـ احد : خفيف اليدين ، اي سريع ، جمادى :صلب . من الحقب : اي في موضع حقوية بيـاض يخالف لون سائر جسمه . صلصل : حاذق ماهر ، والصلصل : الراعي الحاذق .

١٢ ـ معسك : قوى شديد . العقائق : جمـــع عقيقة ، صوف الجذع ، وشعر كل مولود يولـد عليه من الناس والبهائم عقيقة ، قال عدي بن زيد يصف حمارا :

تحسرت عقّـة عنـه فانســـلها واجتاب اخرى جديدا بعدما ابتقلا

مندل : ضخم الرأس .

١٣ ـ الد : عظيم اللديدين ، واللدبدان : صفحتا العنق .
الاخدعان : عرقان في موضـع المحجمتين ،والأخدع : شعبة من الوريد . الليت : صفحـة العنق .
الزر : الشـل والطـرد ، والزر : المض ،والمزارة : المعاضة ، وحمار مزر .
ابلاد : لصوق بالارض ، وابلد : ضرب بنفسه الأرض ، والابلاد : جمع البلد ، وهو الأثر .
جليب : الذي يجلب من بـلد الى غيره .مخفل : رطب .

١٤ ـ ذات الضغن : الناقـة أو الأتان التي تنزع الى وطنها ، قال الخليل : يقال للنحوص اذا وحمت فاستصعبت على الجاب : انها ذات شغب وضغن .

١٥ ـ زماع الصيد : سرعته ، يقال للرجل الشجاع المقدام : زميع بيّن الزماع ، الورد : هنا التقدم .
الأفكل : الرعدة ، يقال : اخذه افكل ، اذا ارتعد من برد او خوف .

١٦ـ يُقَلِّبُ أشباهاً كأن نِصالَها بَعيجَةُ جُمْرٍ أو ذُبالٌ مُفَتَّلُ

١٧ـ فلما رضَى إغْراضَها واغترارَها وواجَهَهُ من مَنْبِضِ القلب مقتلُ

١٨ـ رماها بمذروب المكَفِّ كأنَّهُ
سِوى عودهِ المحشوشِ في الرأس مِغْوَلُ

١٩ـ فأنفذَ حِضْنَيْها وطَرَّ وراءَها بمعتَقَبِ الوادي نَضِيٌّ مرَمَّلُ

٢٠ـ وغادَرَها تكبو لحَرٍّ جبينِها يُناطِحُ منها الأرضَ خَدٌّ وكَلْكَلُ

٢١ـ ومارَ عَبيطٌ من نجيعٍ كأنَّهُ على مستوى الاطلَينِ نِيْرٌ مُرَحَّلُ

٢٢ـ وأجفلنَ من غيرِ ائتمارٍ وكُلُّها لهُ من عُبابِ الشَّدِّ حِرْزٌ ومَعْقِلِ

٢٣ـ يُؤَمِّلُ ثِرْباً من ثُمَيلٍ ومَأسِلٍ وما الموتُ إلا حيثُ أرَّكَ مأسَلُ

٢٤ـ عليه أُبَيْرٌ راصِداً ما يَروقُه من الرَّمْيِ الا الجَيِّدُ المتنَخَّلُ

---

١٦ ـ اشباه : سهام متشابهة متماثلة .
بعيجة جمر : اي فلقة او شقة من جمر .

١٧ ـ اغراضها : شوقها ، غرضت الى الشيء :اشتقت اليه ، وغرض : بالفتح اي مل وضجر .

١٨ ـ مذروب : حاد . المحشوش : السهم الذي يلزق به القذذ من نواحيه .
مغول : سيف دقيق له قفا يكون غمده كالسوط .

١٩ ـ حضناها : جانباها ، وحضنا الشيء :جانباه ، ونواحي كل شيء احضانه ، والحضن : ما دون الابط الى الكشح .
طر : شل وطرد ، وطررت الابل : مثل طردتها اذا ضممتها من نواحيها . معتقب الوادي : مجبسه .
النضي : نصل السهم ، والنضى : القدح اول ما يكون قبل ان يعمل ، ونضى السهم : ما بين الريش والسهم .

٢١ ـ مار : تحرك وماج ، اي الدم على وجه الارض . المبيط من الدم : الخالص الطري .
النجيع : الدم يضرب لونه الى السواد ،وقيل : هو دم الجوف خاصة .
الاطلان : الخاصرتان . النير : علم الثوب ولحمته ايضا .
مرحل : مزين ، ومرط مرحل : ازار خزفيه علم .

٢٢ ـ الائتمار : المشاورة .
عباب الشد : اول العدو ومعظمه ، اصله من عباب الماء والسيل : اوله ومعظمه .

٢٣ ـ ثميل : موضع ، وعلى لفظ التصغير موضع باليمن ورد في شعر ابن احمر (البكري ١/٣٤٦) .
مأسل : موضع في ديار ضبة تنسب اليه دارة مأسل ، هذا قول البكري ، اما ياقوت فيقول : مأسل : رملة ، وقيل ماء في ديار بني عقيل ،وقال ابن دريد : نخل وماء لعقيل واسم جبل في شعر لبيد .
ارك : اركت الابل اذا رعت الاراك ، واركت بمكان كذا اذا لزمته فلم تبرح ، واركت : اذا اقامت في الاراك وهو الحمض .

٢٤ ـ ابير : لم اجدها ، ولعلها : امير .
المتنخل : المنخير ، وانتخلت الشيء :استقصيت افضله .

٢٥ــ ولاقَيْنَ جبَّارَ بنَ حمزةَ بعدَما أطابَ بشَكَّةٌ أيَّ أمرَيْهِ أفعَلُ

٢٦ــ يقلِّبُ أشْبَاهاً كأن نِصَالَهَا خَوافيحَمَامٍ ضَمَّها الصَّيفَ منزِلُ

٢٧ــ وصفراءَ من نبعٍ رَنينٌ خُوَاتُها تجودُ بأيدي النَّازِعينَ وتبخَلُ

٢٨ــ وباتَ يرى الأرضَ الفضاءَ كأنَّها مَرَاقِبُ يخشَى هولَهَا المتنزَّلُ

٢٩ــ يُؤَامِرُ نفسيهِ أعَيْنَ غمَازَةٍ يُغَلِّسُ أم حيثُ النِّبَاجُ وثَيْتَلُ

٣٠ــ فلما أرْجَحَنَّ الليلُ عنه رمَى بها نِجَادَ الفَلا يعلو مِرَاراً ويَسْفُلُ

٣١ــ فغَامرَ طَحْلاءَ الشَّرائعِ حولَهُ بأرجَائِهَا غَابٌ ألَفُّ ونَيِّلُ

٣٢ــ فغَمَّرها مستوفِزاً ثمَّ حَاذَهَا
يَشُجُّ الصُّوَى من قُربها الشَّدُّ من عَلُ

٣٣ــ وأضحتْ بأجوازِ الفَلاةِ كأنَّها وقد راخَتِ الشَّدَّ الحِنِيُّ المعَطَّلُ

٣٤ــ ألا هذهِ أمُّ الصَّبِيَّيْنِ إذْ رأتْ شُحُوباً بضاحِي الجِسْمِ مني تهَزَّلُ

٣٥ــ تقولُ بما قد كان أفرَعَ ناعِماً تغيَّرَ واستولَى عليه التبدُّلُ

---

٢٧ ــ رنين خواتها : اي صوتها رنين ؛ يصف القوس ، والخوات : صوت الانقضاض ودوى جناح العقاب .

٢٩ ــ في الأصل : (تيتل) بالتاء المثناة وهو ثيتل بالثاء المثلثة .
عين غمازة : غمازة بئر بين البصرة والبحرين وقيل: هي عين دون هجر ، وانشد لاوس بن حجر:
تذكر عينا من غمازة ماؤها له حبب تجري عليه الزخارف
يغلس : الغلس ظلمة آخر الليل ، والتغليس: السير في الليل بغلس .
النباج : قال ابو عبيدة : النباج وثيتل موضعان متدانيان ، بينهما دوح ، ينزلهما اللهازم من بني بكر ، وهم بنو قيس وتيم الله ابني ثعلبة وعجل وعنزة ، وقد اغارت عليهم فيها بنو تميم فظفرت بهم ؛ قال ربيعة بن طريف يمدح قيس بن عاصم :
وانت الذي خوّيت بكر بن وائل وقد عطلت منها النباج وثيتل
وقال الاصمعي : النباج وثيتل : ماءان لبني سعد بن زيد مناة مما يلي البحرين (البكري ١٢٩١/٤) .

٣٠ ــ ارجحن الليل : مال ، اي انكشف ظلامه .

٣١ــ طحلاء : عين او ماء غير صاف ، والطحلة : لون بين الغبرة والبياض .

٣٢ ــ في الأصل : (حاذها) وفي الحاشية : (جازها) تصحيح للاصل .
الصوى : الاعلام من الحجارة ، والصوى : ما غلظ وارتفع من الأرض ولم يبلغ ان يكون جبلا .

٣٣ ــ في الأصل : (راخت) والصواب (راحت) بالحاء المهملة .
راحت الشد : اي خفت له ، والشد سرعة العدو .
الحنى : القسى ، يشبه الاتن بعد الشد والاعياء والاعياء بالقسى والقداح لشدة هزالها .

٣٥ ــ افرع : علا وشرف .

٣٦ـ فإنْ تسألي عنّي صِحابي تُنبّئي إذا ما انفرَى سِرْبانيَ المترعبِلُ
٣٧ـ تُنبّيْ بأنّي ماجدٌ ذو حَفيظةٍ أخو القَومِ جوّابُ الفَلاةِ شَمردَلُ
٣٨ـ تَريني غَداةَ البَذْلِ أهتَزّ للنّدى كما جَرّدَ السيفَ اليمانيَّ صيقلُ
٣٩ـ فلا يَهْتِكَنَّ الشامتينَ اغتباطُهمْ إذا غالَ أجلادي ترابٌ وجَنْدَلُ
٤٠ـ وإضْتُ هَميداً تحتَ رمْسٍ بربوةٍ تَعاوَرُني ريحٌ جَنوبٌ وشَمْألُ
٤١ـ تَمنّى ليَ الموتَ الذي نستُ سابقاً معاشِرُ من ريبِ الحَوادثِ جُهّلُ
٤٢ـ معاشِرُ أضحَى ودّهمْ متباعِداً وشَرّهمُ بادٍ يدَ الدّهرِ مُقْبِلُ
٤٣ـ أقَرَّ وِقاعِي أنفُساً ليس بينَها وبينَ حِياضِ الموتِ للشّربِ مَنْهَلُ
٤٤ـ كما راعَ مسّى الليلِ أو مستوَى الضُحى
عصَافيرُ حُجرانِ الجَنَيْنَةِ أجْدَلُ

امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث السكوني

المصدر الوحيد الذي ذكر هذا الشاعر هو المؤتلف والمختلف للآمدي (ص ٦ـ٧ القاهرة ١٩٦١) فيمن يقال له امرؤ القيس فقال : « ومنهم امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث بن معاوية الاكبر بن ثور بن مرتع الكندي ، جاهلي ، وهو القائل في حرب كانت بين بني الحارث ابن معاوية وبني تميم ، هزمت فيها بنو تميم وقتلوا قتلا ذريعا ، في قصيدة أولها :

طربت وعتاك الهوى والتطرب وعادتك أحزان تشوق وتنصب » .

وذكر خمسة ابيات اخرى من القصيدة . ولم اجد للشاعر ذكرا او شعرا في مصدر آخر .

اما قصيدته فيبدؤها بمخاطبة نفسه فيجرد من نفسه شخصا آخر يكلمه ويعاتبه ، فقد حزنت واضناك الهوى والحزن، وعادتك احزان اخرى تشوق وتنصب ، واستبد بك الهلع لفراق ليلى فقدوت باسوا حال ، كأنك مجدود تتناثر اوصاله . ولكن هي الاشواق تهيج الهموم وتسيل الدمع وجدا وهياما بليلى ، وليلى وما ادراك ما ليلى ، امراة فيها دل وفتور وترف كأنها مهاة غريرة منعمة ، تصبي الرجل العاقل وتسلب لبه ، علية الفم والثنايا ، كأنها قد سقيت ـ بعد وهن من الليل ـ خمرة صهباء بل هي اعذب .

وما الظبية التي شدن غزالها وهي في الخميلة وغزالها بين يديها يثب على الرمال فيختلي مرة ويظهر اخرى ، ما هذه الظبية باجمل من ليلى عينا وعنقا ، اما رائحة ليلى ونكهتها بمدهجة من الليل ، فاطيب من روضة وسمية فيها ضروب الزهر ، سقتها السماء بانواع الديم والوبل المتحلب .

فاذا ما فرغ الشاعر من ذكر ليلى ووصفها والتغزل بها والشوق اليها، ثم رحيلها وهجرها ، ينتقل الى الجزء الثاني من هذه القصيدة الذي هو ذكر الحرب والفروسية والفخر بصف ذلك وصفا دقيقا متانيا ، فهذه تميم قد اعدت لهم ، وسارت بجموعها اليهم وقد حشدت الانصار والاتباع ، تراها في كتيبة ضخمة رجراجة لا ينفد الطرف عرضها ، قد ملا ضجيجها لكثرة ما فيها من سلاح وحديد ، وتراهم على وجه الارض كأنهم قطع سود ليس لها آخر عندئذ مشينا اليهم راكبين خيولنا التي ترجم الارض وتشتد نحوهم ، وعلى الخيول فرسان كأنهم سمال وعقبان جن تنطلق ، خيول ضامرة جرداء كالسهام عليها فرسان حاذقون يجيدون صناعة الموت يسمون الى ساحات الوغى ، فاذا نادت تميم نداء الحرب أول اللقاء ، اجبناها مسرعين فقلنا :

٣٦ ـ في الأصل : (تسئلي) .
المترعبل : الممزق .
٣٧ ـ شمردل : سريع .
٣٨ ـ الصيقل : الحداد الذي يصنع السيوف ويجلوها .
٣٩ ـ اجلاد الرجل : جسمه وبدنه .
٤٤ ـ الأجدل : الصقر .

اهل تميم ومرحب ، الم تعلموا كيف نرد خصومنا اذا احتشدوابضرب يقطع الرؤوس ويفرى الصدور ويترك الاجساد تشخب دماؤها وتنفجر ظعائنها بدم الجوف ، فقد وجدوا منا التحاماوضربا صادقا بالسيوف ، فتركناهم بين صريع واسير وهارب ، ولم ينج منهم الا من اوتي فرسا سريعة من نسل اعوج ينهبالارض هربا ، وهكذا هربت تميم وغنمنا منهم وسبينا نساء جميلات واسعات العيون كانهن غطمان الها .

واذا كان هذا بلاؤنا في تميم ، فكذلك اوقعنا بعامر واخيه ،ولقيا منا يوماشديدا عصيبا ،وتركنا ابني رياحوحبتر مصرعين تاكل الطير والذئاب من اشلائهم .

واذا ما انتهى الشاعر من وصف الحرب وتصوير الواقعةواظهار الصور الهائلة المرعبة في القتل والترويع ، وكان ذلك بلاء القوم جميعا والفخر بالقبيلة كلها ، فانه لابد ان يفرد لنفسهصورة ويخصص لها مشهدا ويحكي ما كان من بلائه هو في هذه الحرب الطحون ، والصورة تظهره فارسا كامل العدة يمتطيه فرس ضخم سابح طويل اجرد ، وهو عند الحرب اسد ابسو اشبال من اسد زارة ،ضخم شديد عبل الذراعين صاحبحرب،وحين يرىالتحام الناس واشتداد الحرب حيث تدمي نحور الخيل ، فهو يكر ويخوض الغمرات ، لا ينكل اذا هاب الناس ،طعن ابا الرجال بطعنة صار دم الجوف ينزف منه ، بل يتفجر تفجرا . وكذلك شانه دائما في الحرب ، يكونفي اول المغيرين ،وفي طليعة من يكرون ، ولا يكون همه عندها سوق السوام وغنم الابل ، بل همه كف العدو وزجره مهما بلغت قوته ، وسائلعنه اولئك الخصوم كيف كان جلاده في الحرب اذا اشتد الجلاد .

والقصيدة ، بعد ، صورة رائعة من صور الحرب والبطولةوالفروسية ، واحدى المنصفات النادرات ، حيث اقر لخصومه بني تميم بالقوة والبطولة والجراة والاقدام ، وكذلك مثلالفروسية واخلاق الفرسان .

والبك القصيدة ، قال امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث الكوني :(*)

١ ــ طَرِبْتَ وعنَّاكَ الهوَى والتَّطَرُّبُ وعادَتْكَ أحزَانٌ تَشُوقُ وتَنْصِبُ

٢ ــ وأصبحْتَ من ليلَى هَلُوعاً كأنَّما أصابَكَ مُومٌ من تِهَامَةَ مُورِبُ

٣ ــ ألا لا بَلِ الأشواقُ هاجتْ هُمومَهُ وأشجَانَهُ فالدمعُ للوجدِ يَسْكُبُ

٤ ــ وليلَى أنَاةٌ كالمَهَاةِ غَرِيرَةٌ منعَّمَةٌ تُصْبِي الحَلِيمَ وتخلبُ

٥ ــ كأنَّ ثُنَايَاها تعَلَّلْنَ موهِناً غَبِيقاً من الصَّهْبَاءِ بلْ هيَ أعذبُ

(*) القصيدة في الورقتين ١٤٤ــ١٤٥ من الجزءالخامس من منتهى الطلب .
جاء من هذه القصيدة ستة ابيات في المؤتلفوالمختلف ص ٧ والأبيات هي : ١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ .

١ ــ المؤتلف : وغادتك احزان (بالغين المعجمة) .
طربت : هنا حزنت ، والطرب خفة تصيبالانسان لشدة حزن او سرور .
عنّاك : اتعبك . تنصب : من النصب وهوالتعب .

٢ ــ الموم : البرسام ، وهو اشد الجدري الذييصير الجسم كله قرحة واحدة .
مورب : من ارب الرجل اذا تساقطتاعضاؤه .

٤ ــ اناة : الاناة من النساء التي فيها فتور عندالقيام وتأن ؛ قال الشاعر :
رمته اناة من ربيعة عامر تؤوم الضحى في مأتم اي مأتم
المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها النساءلجمال عيونها واعناقها .
غريرة : غير مجربة . تخلب : تفتن وتصبي.

٥ ــ تعللن : شربن العلل وهو الشرب الثاني بعدالنهل . الموهن : نحو منتصف الليل .
الغبيق : والغبوق ما يشرب في العشي ،وهو خلاف الصبوح .

٦ ــ وما أمُّ خِشْفٍ شَادنٍ بخَميلةٍ من الدهسِ منه هايلٌ ومُكَثَّبُ
٧ ــ يَعِنُّ لها طَوْراً وطَوْراً يَروقُها على الأُنْسِ منه جرأةٌ وتوثُّبُ
٨ ــ بأحسنَ منها مُقْلةً ومقَلَّداً وإنْ هي لم تُسْعِفْ وطالَ التَّجَنُّبُ
٩ ــ وما رَوضةٌ وسميَّةٌ حَمويَّةٌ بها مونقاتٌ من خُزَامَى وحلْبُ
١٠ــ تَعاورَها وَدْقُ السَّماءِ ودِيمَةٌ يَظَلُّ عليها وبْنُهَا ينحلَّبُ
١١ــ بأطْيبَ منها نكهةً بعدَ هجعةٍ إذا ما تدلَّى الكوكَبُ المتصَوِّبُ
١٢ــ فدَعْ ذِكْرَ ليلَى إذْ نأَتْكَ بوِدِّها وإذْ هيَ لا تدنُو إليك فتَسْقُبُ
١٣ــ أتَتْنَا تميمٌ قَضُّهَا بقضِيضِهَا ومَنْ سارَ من أفنائِهم وتأشَّبُوا
١٤ــ برَجْرَاجَةٍ لا يُنْفِدُ الطَّرفُ عَرْضَهَا
لها زَجَلٌ قد أحْزَأَلَّ ومَلْحَبُ
١٥ــ فلمَّا رأيناهُمْ كأنَّ زُهَاءَهُمْ على الأرضِ اصباحاً سوادٌ وغُرَّبُ
١٦ــ سَمَونَا لهم بالخيلِ تَرْدِي كأنَّها سَعَالٍ وعِقْبَانُ اللِّوَى حينَ تَرْكَبُ
١٧ــ ضَوامرُ أمْثَالُ القِدَاحِ يكُرُّهَا على الموتِ أبناءُ الحُروبِ فتحرَبُ
١٨ــ فقالوا الصَّبُوحَ عندَ أولِ وَهْلَةٍ فقلنا لهمْ أهْلٌ تميمٌ ومرحَبُ
١٩ــ ألَمْ تعلمُوا أنَّا نَرُدُّ عدوَّنَا إذا أحشَوشَدُوا في جَمْعِهِم وتأكَّبُوا

---

٦ ــ الخشف : ولد الظبية اول ما يولد . شادن : قوي ، شدن الظبي اي قوي واستغنى عن امه .
الخميلة : الشجر الكثير الملتف . هائل : اي رمل هائل منصب ومنهار . مكثب : على شكل كثبان وهي المطمئنة من الارض بين الجبال ، والتلال من الرمل . الدهس : المكان السهل اللين .
٩ ــ روضة وسمية : اصابها الوسمي ، وهو مطر الربيع الأول لأنه يسم الأرض بالنبات . مونقات : معجبات . الخزامى : خيري البر ، نبات طيب الرائحة .
الحلب : بقلة جعدة غبراء في خضرة تنبسط على الأرض يسيل منها اللبن اذا قطع منها شيء ، وهو نبت تعتاده الظباء .
١٢ ــ تسقب : تقرب ، والسقب : القرب ، ومنه الحديث (الجار احق بسقبه) .
١٣ ــ في المؤتلف : (ومن سار من اطرافهم) .
قضها بقضيضها : اي باجمعها . الفافهم : اخلاطهم ومن عد منهم .
تاشبوا : اختلطوا .
١٤ ــ رجراجة : كتيبة كبيرة تضطرب كأنها تتمخض ولا تسير لكثرتها .
الزجل : صوت الكتيبة وما فيها من سلاح وحديد .
احزال : ارتفع ، واحزالت الابل في السير : ارتفعت واشتدت .
الملحب : الطريق الواضح .
١٦ ــ تردى : ردى الفرس اذا رجم الأرض رجما بين العدو والمشي الشديد .
١٨ ــ المؤتلف : (فقالوا لنا انا نريد لقاءكم) .
١٩ ــ المؤتلف : (انا يقل عدونا) .

٢٠ــ بضَربٍ يفُضُّ الهامَ شِدَّةُ وَقْعِهِ ووَخْزٍ تَرَى منه الترائبَ تَشْخُبُ

٢١ــ فلاقَوا مِصَاعاً من أُناسٍ كأنَّهمْ أسُودُ العَرِينِ صادقاً لا يُكَذَّبُ

٢٢ــ فلم تَرَ منهمْ غيرَ كَابٍ لوجهِهِ وآخرَ مغلولٍ وآخرَ يهرُبُ

٢٣ــ ولم يَبْقَ إلاَّ خَيْفَقٌ أعوجيَّةٌ وإلاَّ طِمِرَّ كالهِراوةِ مِنْهَبُ

٢٤ــ وفَاءَ لنا منهمْ نِسَاءٌ كأنَّها بِوَجْرَةَ والسِّلاَّنِ عِينٌ ورَبْرَبُ

٢٥ــ ونحن قتلْنَا عامِراً وابنَ أُمِّهِ ووافَاهُما يومٌ شَتِيمٌ عَصَبْصَبُ

٢٦ــ وغُودِرَ فيها أبْنَا رِيَاحٍ وحَبْتَرٍ تَنُوشُهمُ طَيْرٌ عِتَاقٌ وأذْؤُبُ

٢٧ــ ويعدو بِبَزِّي هيكلٌ الخَلْقِ سابحٌ مُسَرَّةُ أسِيلُ الخَدِّ أجرَدُ شَرْجَبُ

٢٨ــ كأنِّي غَدَاةَ الرَّوْعِ من أُسْدِ زَارَةٍ
أبو أشْبُلٍ عَبْلُ الذِّراعَيْنِ مِحْرَبُ

٢٩ــ ولمَّا رأيْتُ الخَيلَ تدمَى نُحُورُهَا كَرَرتُ فلم أنْكُلْ إذا القومُ هَيَّبُوا

---

٢٠ ــ المؤتلف : (يفض البيض ... ووخز ترى منه الاسنة تخضب) .
الترائب : عظام الصدر ما بين الترقوة الى الثندوءة .
تشخب : تنفجر ، والشخب : ما امتد من اللبن حين يحلب .

٢١ ــ المصاع والمماسعة : المجالدة في الحرب ، والمصع : الضرب بالسيف .

٢٣ ــ الخفيفق : الفرس السريعة جدا .
اعوجية : نسبة الى فحل اسمه اعوج ، وهو فرس كان لبني هلال تنسب اليه الأعوجيات وبنات اعوج ، وقال ابو عبيدة : كان اعوج لكندة فأخذته بنو سليم في بعض ايامهم فصار الى بني هلال . وليس في العرب فحل اشهر ولا اكثر نسلا منه .
الطمر : الفرس المستعد للوثب والعدو .

٢٤ــ وجرة موضع بين مكة والبصرة على ثلاث مراحل من مكة طولها اربعون ميلا ، ليس فيها منزل ، فهي مرب للوحش .
السلان : موضع بين البصرة واليمامة ، قال مهلهل :
امست منازل بالسلان قد عمرت بعد كليب فلم تفزع اقاصيها
عين : جمع عيناء ، البقر الوحشي . وربرب : قطيع من بقر الوحش .

٢٥ ــ يوم عصبصب : شديد عصيب .

٢٦ ــ رياح : لعله رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وحبتر : رجل من بني تميم .

٢٧ ــ البز : السلاح . هيكل : فرس ضخم . ممر : شديد مفتول . شرجب : طويل .

٢٨ ــ في هامش الاصل : (الذراع محرب) .
زارة : موضع في شعر الهذلي :
او نبعة من قسى زارة او راء هتوف عدادها غرد
وزارة : موضع بناحية البحرين (البكري ٢/٦٩٢ــ٦٩٣) .
عبل الذراعين : ضخمهما . محرب : صاحب حروب .

٣٠ـ حَبَوْتُ أبا الرَّحّالِ منّي بطعنةٍ يَمُدُّ بها آتٍ من الجَوفِ يَزْعَبُ

٣١ـ فلم أرْقِهِ إنْ ينجُ منها وإنْ يمتْ فجيّاشَةٌ فيها عَوانِدُ تَشْعَبُ

٣٢ـ وقد عَلِسَتْ أولَى المُغِيرةِ أنّني كَرَرتُ وقد شُلَّ السَّوامُ المُعزَّبُ

٣٣ـ ونَهْنَهْتُ رَيْعانَ العَدِيِّ كأنّهُ غَوارِبُ تَيّارٍ مِنَ اليَمِّ يُجْنَبُ

٣٤ـ فسائِلْ بني الجَمْراءِ كيف مِصاعُنا إذا كَرَّرَ الدعوى المُتيحُ المُثوِّبُ

عبدالله بن ثور العامـري

شاعر آخر مجهول له هذه القصيدة الرائعة النادرة ، لانعرف عنه غير اسمه وقبيلته ، وليس له شعر آخر غير قطعتين انفرد بهما كتاب الوحشيات اثبتهما بعد القصيدة .

أما هذه القصيدة فجاهلية نمطا واسلوبا ولغة وبيئـة ،يبدؤها بالوقوف على ديار حبيبته هند التي يخاطبها بابنـة القين ، ويحدد منازلها التي عفت في شدخ اللمياء ولفلف ووادي المراضين ، ويحدث نفسه بلقائها ويمنيها بانجاز الوعد ولكن الوعد منها في اكبر الظن سيخلف ، وكذلك انباته الطي ، ولوانه لايتعيف بالطيور . ويحاور نفسه ويعاتبها على سـبيل التجريد ، يقول : تهيم بهند وهي بعيدة نائية تحجز بينكماتهامة ووادي القرى ، وهل هند الا ذكرى من الذكريات ، وهل في الذكريات الا ما يهيج الهوى ويمزق الفؤاد ويورث اللوعة ،ويرسل خياله فيرى فيما يرى المتخيل ، هذه المراة الكنانية التي ترعى الربيع وتقضي اشهر الصيف بين رملة عالج وخيبر ووادي القرى ، ويذكر المواضع التي يظن انها تحل فيها او تجاور ، ويحدث نفسـه بلقائها ولا لقاء الا اذا علا ظهر ناقة ضخمة قوية ،فاذا ما ذكر ناقته وقف عندها وتامل فيها فوصف قوتها وعظم هيكلها ، ثم شبهها ـ كعادة الشعراء الجاهليين ـ باتان حقبـاءمن أتن السراة قوية ترعى ما بين جبل قنان وواد منكف ، ثم يستطرد لوصف هذه الاتان وذكر قصتها معالصائد الذي لبدفي الارض يتربص بها غفلة ، حتى اذا جاءت بعد ايام من ظمئها ترد الماء ـ واكثر مصارع الحيوان عند الماء ـ سدد اليها الصـائدسهما عريضا مريشا ، ولكنها تحركت وانحرفت نحو اليمين فاخطاها الموت ، وانطلقت مولية الادبار تلوذ بجنبات الوادي ،فباتت هنالك تتعشى خلـة ، اما الصائد فبات مسهدا يتلهف لصيد طريدته .

وعلى مثل هذه الناقة التي اشبهت تلك الاتان يطرد الهموماذا نزلت به ،ويردف اخوان الصفاء ،وعلى ذكراخوان الصفاء فهو يذكر مجالسهم ومنادمتهم وحضوره مجالس الغناء حيـثالوليدة تعزف ، ويمضي في ذكر ايامه ومفاخر نفسه ، فهو يسلب صاحب الابل ماله ، لعله حربا او ميسرا ، ويقتدي باخسلاقالكرام الذين يقرونالضيف ويتعففون .واذا جاء حديث العفة والكرم فخر بذلك ثم عرج على حديث الاحلاف والحروب ، وماكان من حلف بني الليث وعمرو بن عامر ، وما كان من حربهم لعمرو بن عامر وقد صبروا في المعركة كما ثبت خصومهم وقـدالوا على انفسهم الثبات او التلف ، ويصور كيف خاضـوا اهوال الحرب وما لقي اعداؤهم منهم من شدة وبطش ، واصفاالجيش وكثرته واماكن بلائه ، وهو في كل ذلك يفخر بانهم كانوا يفرون بالسيوف رؤوس اعدائهم ، ويخرقون بالاسنة صدورهمفاطراف اسنتهم تسيل دما وتقطر نجيعا .

---

٣٠ ـ يزعب : اي يتدافع ، يريد ان دم الجوفينفجر من الطعنة .

٣١ ـ في الأصل : (تتعب) بتاءين والصواب بتاءوثاء مثلثة .
قوله : فلم ارقه ، يقال ان القاتل اذا رقىقتيله الذي فيه رمق شفي مما به وعاش .
عوائد : جمع عنيد (بفتح ثم كسر) الطعناذا كان يمنة ويسرة .
تشعب : تفجر ، اي يتفجر الدم من الطعنـةويسيل .

٣٢ ـ شل السوام : اذا طرد وسبق . السوام :الماشية الراعية .
المعزب : البعيد المرعى ، اعزبت الابل : اي بعدت في المرعى لا تروح .

٣٣ ـ نهنه : كف وزجر .
الريعان : اول الشيء ومنه ريعان الشباب .

٣٤ ـ الجعر : نجو كل ذات مخلب من السباع ،والمجعر : الدبر ، وبنو الجعراء : سـباب لهم .
المصع : والماصعة ، الضرب بالسيف .
المثيح : المعرض . المثوب : الراجع بعـدذهاب .

والملاحظ في هذه القصيدة ان الشاعر طرق موضوعات متعددة ولكنه ما كان كسابقيه متمهلا متأنيا ، بل تراه يلم بالموضوع الماما ويلقي عليه جانبا من الضوء ثم يغادره الى غيره بسبب من أسباب الانتقال هو التذكر ، او ما نسميه بتداعي الخواطر ، فالذكرة تذكر باختها ، وهذه تؤدي الى ثالثة وهكذا .

ونجد كذلك في هذا الشعر اصالة وتمكنا ومقدرة على الصياغة ، مما يدل على ان الشاعر ليس من المقلين او اصحاب الواحدة ، بل ان الواحدة الجيدة النادرة هي التي حفظت ووصلتنا ، على حين اخطأت اخواتها الطريق وفلتت من أيدي الحافظين .

قال عبد الله بن ثور احد بني البكاء من بني عامر بن صعصعة(*)

١ ـ أرسمَ ديارٍ لابنةِ القَيْنِ تَعْرِفُ ... عَفَا شَدَخُ اللَّعْبَاءِ منها فَلَفْلَفُ

٢ ـ وقد حَضَرتْ عاماً بَوادِرَ كُلُّها ... فَذِروَةُ منها فالمِراضانِ مألَفُ

٣ ـ وقد انبأتْنِي الطيرُ لو كنتُ عائِفاً ... ولكنَّني بالطَّيْرِ لا أتعَيَّفُ

٤ ـ بِرَمَّانَ والعَرْجَيْنِ إنَّ لِقَاءَها ... بعيدٌ وإنَّ الوعدَ منها سَيُخْلِفُ

٥ ـ تَهِيمُ بهندٍ من وراءِ تِهَامَةٍ ... ووادي القُرَى بيني وبينَكِ مَنْصَفُ

(*) القصيدة في منتهى الطلب الورقتين ١٤٥ـ١٤٦ من الجزء الخامس .

١ ـ في حاشية الاصل : (فاشقف صح) . اي فاشقف بدلا من : فلفلف .
شدخ اللعباء : شدخ واد فيه قرية نخل على ليلتين من المدينة ، وشدخ من منازل غفار واسلم بالحجاز (ياقوت : شدخ) . اللعباء : بين الربذة وارض بني سليم وهي لفزارة ، وقيل : اللعباء ارض تنبت العضاة وهي لبني ابي بكر بن كلاب (البكرى : اللعباء) . واللعباء : ارض غليظة باعلى الحمى ، وقال ابو زياد : واياها عني حميد بن ثور الهلالي بقوله :

الى النير فاللعباء حتى تبدلت ... مكان رواغيها الصريف المدمدما

(ياقوت : لعباء) . ولم اجد شدخ اللعباء ، بهذه النسبة .
لفلف : بلد قبل برد من حرة ليلى ، قال جميل :

عفا برد من آل عمرو فلفلف ... فأدمان منها فالصرائم مالف

(البكرى : لفلف) ، وقيل : جبل بين تيماء وجبل طيء (ياقوت : لفلف) .

٢ ـ ذروة : من بلاد غطفان قيل واد وقيل جبال ليست شوامخ تتصل بالقدسين من جبال تهامة ، وفي شرقي ذروة قرى منها القمراء على واديقال له رخيم وفي اسفله ضرغد ، فيها حصون وقصور ومنبر لبني الحارث .
المراضان : واديان ملتقاهما واحد ، وفي شعر دريد بن الصمة :

لو ان قبورا بالمراضين سوئلت ... فتخبر عنا الخضر خضر محارب

(البكري : المراض) .

٣ ـ العائف : المتكهن ، وعيافة الطير : زجرها وهو ان يعتبر بأسمائها ومساقطها واصواتها .

٤ ـ رمّان : جبال لطيء محفوفة بالرمال ، قال ابن مقبل :

ارقت لبرق آخر الليل دونه ... رضام وهضب دون رمّان أفيح

العرجان : مثنى العرج ، قرية جامعة على طريق مكة من المدينة ، ووادي العرج فيه عين عن يسار الطريق في شعب بين جبلين ، والعرج من بلاد اسلم .

٥ ـ تهامة : تسابر البحر منها مكة . والحجاز : ما حجز بين تهامة والعروض . ووادي القرى : واد بين المدينة والشام من اعمال المدينة كثير القرى .

٦ ــ ولا هِنْدَ إلاّ أنْ تَذَكَّرَ ما مضَى تقَادُمَ عَهْدٍ والتذكُرُ يَشْعَفُ

٧ ــ كِنَانِيَّةٌ تَرْعَى الربيعَ بعَالجٍ فخيبرَ فالوادي لهـا متَصَيَّفُ

٨ ــ تَحُلُّ مع ابنِ الجَوْنِ حُرٌّ بِلادِهِ فأنتَ الهوى لو أنَّ وَلْيَكَ يُسْعِفُ

٩ ــ فحادِثْ دِيارَ المُدْلِجِيَّةِ إذْ نَأَتْ بِوَجْنَاءَ فيها للرِّدَافِ تَعَجْرُفُ

١٠ــ منفَّجَةِ الدَّأْيَاتِ ذاتِ مَخِيلَةٍ لها قَرِدٌ تحتَ الوَلِيَّةِ مُشْرِفُ

١١ــ كحقباءَ من عُونِ السَّرَاةِ رَجيلَةٍ مَراتِعُها جَنْبًا قَنَانٍ فَمُنْكِفُ

١٢ــ تَخَافُ عُبَيْداً لا يَزالُ مُلَبَّداً
رَصِيداً بذَاتِ الجُرْفِ والعَيْنُ تَطْرِفُ

---

٦ ــ يشعف : يمرض ويحرق ، تقول : شعفه الحب اي احرق قلبه او امرضه .

٧ ــ كنانية : نسبة الى كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .
الربيع : الزرع هنا ؛ المراد ربيع الازمنة وهو الفصل الذي تاتي فيه الكماة والنور وهو ربيع الكلأ ، والربيع الثاني : الذي تدرك فيه الثمار .
عالج : موضع وهو الذي ينسب اليه رمل عالج ، وهو في ديار كلب ؛ ورمل عالج يصل الى الدهناء .
خيبر : بينها وبين المدينة ثمانية برد ؛ مشى ثلاثة ايام .
الوادي : لعله المقصود وادي القرى .

٨ ــ ابن الجون : لعله زرارة بن الجون بن انمار بن عوف بن جذيمة بن مالك بن فهم .
وليك : اي قربك ، والولي : القرب والدنو .

٩ ــ المدلجية : لعلها نسبة الى مدلج بن سويد بن مرثد الذي يقال له مجير الجراد ، كان عزيزا منيعا .
الوجناء : الناقة الشديدة ، او العظيمة الوجنتين .
الرداف : الموضع من الناقة الذي يركب فيه الرديف ، واردفه : اذا اركبه خلفه .
تعجرف : قلة مبالاة ، جمل فيه تعجرف وعجرنة كان فيه خرقا وقلة مبالاة لسرعته ، اي ان الناقة لقوتها ونشاطها وسرعتها لا تبالي اذا اردف خلفه راكبا .

١٠ ــ منفجة : مرتفعة . والنوافج مؤخرات الضلوع ، الواحدة نافجة . الدايات : جمع الداى ، من البعير الموضع الذي تقع عليه ظلفة الرحل فتمقره . ذات مخيلة : ذات كبر وخيلاء .
القرد : نفاية الصوف وما تمعط من الغنم وتبلّد . الولية : البرذعة ، او التي تكون تحت البرذعة .

١١ ــ في الأصل : (مراقعها) والصواب : مراتعها .
حقباء : اتان في حقويها بياض . عون : جمع عانة القطيع من حمر الوحش .
رجيلة : قوية على المشي لا تحفى . قنان : جبل من منازل بني قفعس .
منكف : واد تلقاء ذي كلاف وهو في شعر ابن مقبل :
عفا ذو كلاف من سليمى فمنكف مبادى الجميع القيظ فالمتصيف

١٢ ــ عبيد : اسم الصائد ، او كناية عن السبع . رصيد : السبع الذي يرصد ليثب .

١٣ــ وجَاءتْ لخِمْسٍ بعــدَ مــا تَمَّ ظِمْؤُهــا
وجَانِبُهَــا مِمَّــا يلي المَــاءَ أجْنَفُ

١٤ــ فسَدَّ يديهِ من قَرِيبٍ وصــدرُه بسَعْبَلَةٍ مــا يَرِيشُ ويَرْصُفُ

١٥ــ فأعْجَلَهُ رَجْعُ اليمينِ انصِرَافَها وأخطأهَا حَتْفٌ هُنَــالك مُزْعِفُ

١٦ــ فباتَتْ بمُلْتَدٍّ تَعَشَّى خَلِيــقَةً وباتَ قليــلاً نومُــهُ يتَلَهَّفُ

١٧ــ على مثلِهَا أقضِي الهُمومَ إذا اعتَرَتْ وأُعقِبُ إخوانَ الصَّفَاءِ وأُرْدِفُ

١٨ــ ونَدْمانِ صِدْقٍ قد رفَعْتُ برأسهِ إليَّ وأوتَــارُ الوَليــدةِ تَعْــزِفُ

١٩ــ وذي إبلٍ لا يقرَبُ الحَوْضَ رِفْدَهَا تركتُ قليــلاً مالَــهُ يتَنَصَّفُ

٢٠ــ وأحْسِبُ أنِّي بعدَ ذلك أقتــدي بأخلاقِ مــن يَقْرِي ومــن يعَفَّفُ

٢١ــ ألا تِلكمو لَيْثٌ وعَمْرو بن عامرٍ حَلِيفانِ رَاضُوا أمرَهُمْ فتحلَّفُــوا

٢٢ــ فما كانَ مِنَّا مَنْ يُحَالِفُ دونَكُمْ ولو أصفقتْ قيسٌ علينــا وخِنْدِفُ

ذات الجرف : بالأصل (الحرف) بالحاءالمهملة .
والجرف : موضع ؛ قيل : قريب من ودان وهو من منازل بني سهم بن معاوية من هذيــل ؛ والجرف ايضا على ميل من المدينة ، وهناك كان المسلمون يعسكرون اذا ارادوا الغزو . وهناك مواضع اخرى باسم الجرف في الحيرة واليمن .

١٣ ــ الخمس : من اظماء الابل ، ان ترعى ثلاثةايام وترد اليوم الرابع . اجنف : مائل .

١٤ ــ المعبلة : نصل عريض طويل ، وعبلت السهم : جعلت فيه معبلة .
يرصف : السهم اذا شد على وعظه عقبة ، والرعظ : مدخل سنخ النصل في السهم ، وفوقه الرصاف : وهي لفائف العقب .

١٦ ــ ملتد : جانب الوادي .

١٧ ــ في الاصل : (على مثله) ولعله من وهم الناسخ والصواب (على مثلها) لانه رجع الى ذكر الناقة في البيت التاسع (بوجناء فيهاللرداف تعجرف) ثم شبهها (كحقبــاء من عون السراة) .

١٩ ــ يتنصف : يطئب النصفة .

٢١ ــ في الاصل : (تلكموا) .
ليث : قبيلة ، نسبة الى ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة .
عمرو بن عامر : قبيلة ؛ نسبة الى عمرو بن عامر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، قبيلة الشاعر .

٢٢ ــ اصفقت : اتفقت ، اصفقوا على كذا : اي اطبقوا عليه .
قيس : قبيلة قيس بن عيلان بن مضر بن نزار ؛ الجرم الكبير الذي ينتسب اليه بنو عامر بن صعصعة .
خندف : قبيلة نسبة الى خندف وهي ليلى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ولقبها خندف والخندفة : المشي في سرعة .

٢٣ـ ولما رأينا الحيَّ عمرَو بنَ عامرٍ عيونهمْ يا أبنَى أمامةَ تذرفُ

٢٤ـ وقلنا لا أجزْوا مدْلِجاً ما تلثَّموا وقلنا لا أجزْوا مدْلِجاً ما تلثَّموا

٢٥ـ فظلْنا نهزُّ السَّمْهريَّ عليهمِ وبئسَ الصَّبُوحُ السمهريُّ المثقَّفُ

٢٦ـ فكنَّا كمن آسَى أخاهُ بنفسِه نعيشُ معاً أو يتلفونَ وتتلفُ

٢٧ـ وجئنا بقومٍ لا يُمَنُّ عليهم وجمعٍ إذا لاقَى الأعاديَّ يزحفُ

٢٨ـ وقومٍ إذا شلتوا كأنَّ سَوامَهُمْ على رُبَعٍ وسْطَ الدِّيارِ تعَطَّفُ

٢٩ـ وقالت ربايانَا ألا يَالَ عامرٍ على الماءِ رأسٌ من عليٍّ ملفَّفُ

٣٠ـ نطاعِنُ أحياءَ الذريدَيْنِ بالضُّحى أُسودُ فروعِ الغِيلِ عنها تكَشَّفُ

٣١ـ علَوْنَا قَنَوْنَى بالخميسِ كأنَّنا أتيٌّ سَرى من آخرِ الليلِ يَقْصِفُ

٣٢ـ فلم تنهيَّبْنَا تِهامَةُ إذْ بَدَا لنا دَوْمُها والظِّلُّ بالقومِ يُخْلِفُ

٣٣ـ ظَلِلْنَا نُفَرِّي بالسيوفِ رؤوسَهُم جِهَاراً وأسْرافُ الأسِنَّةِ نَرْعُفُ

٢٥ ـ السمهري : رمح صلب ، والسمهرية القناةالصلبة ، يقال منسوبة الى سمهر : رجل يقوم الرماح . الصبوح : شرب الصباح ، وارادهنا الغارة صباحا .

٢٨ ـ شلوا : طردوا الابل . الربع : الفصيل ينتجفي الربيع وهو اول النتاج .

٢٩ ـ الربايا : جمع ربيئة وهو الطليعة ، وربـاالقوم : اي رقبهم ، اذا كان لهم طليعة فوق شرف ، والموضع المربأ والمرباة : اي المرقبة . علىقبيلة .

٣١ ـ في الاصل (قنونا) . قنونى : موضع قرب مكة ، قال كثير :

حلفت على ان قد اجنتك حفرة ببطن قنونى لو نعيش فنلتقي

الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق ،المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق .

٣٢ ـ الدوم : شجر المقل ، جنس من شجر منفصيلة النخليات ساقه متشعبة، يستخرج منثماره نوع من الدبس .

٣٣ ـ نفري الرؤوس : نقطعها . نرعف : تقطرمنها الدماء ، تشبيها لها بالأنف الراعف الذي يسيل منه الدم .

وقد جاءت قطعتان لعبدالله بن ثور في كتاب الوحشيات ص ٦٥ :

١ ــ الا هل اتى ابا حسّانَ انّا ... تعيّنّاهُ باطرافِ الرّماحِ
٢ ــ علَوْنا بالخيلِ تَخْلَةَ فاستقلّتْ ... الى الاعداء بالموت الذّبَاحِ
٣ ــ تَشُقُّ بها السنينَ ولا نُبَالي ... بها ازلَ المخاضِ ولا اللُّقَاحِ
٤ ــ جلبْنا الخيلَ من عَلَثى عليها ... تؤَذّنُ بالغُدُوّ وبالرُّواحِ
٥ ــ حَوافِرُها الضّوارعُ مُخْطَآتٌ ... ويبقى حافِرُ الفرسِ الوَقَاحِ
٦ ــ وضعنا من اجنّتهم إليهم ... وقلنا ضَحْوَةَ فِيحي فَيَاحِ

---

٦ ــ جاء في اللسان (فيح) بيت يشبه عجزه عجز هذا البيت منسوب الى علي بن مالك العقيلي ، وقيل لابي السفاح السلولي ، هو :

دفعنا الخيل شائلة عليهم ... وقلنا بالضحى فيحى فياح

والبيت في اساس البلاغة (فيح) .

فياح : اسم للغارة ، ومن امثالهم (فيحى فياح) اي اتسعي يا غارة . (امثال الميداني ٢/٢٠) .

●

وفي الوحشيات ص ١٠١ــ١٠٢ ثلاثة ابيات لعبدالله بن ثور ايضا هي :

١ ــ هلاّ سقَيتمْ بني بَدْرٍ اسيرَكُمُ ... لا يبرحِ الدهرَ في اجوافِكُم غلَلُ
٢ ــ بانَ الخليلُ واوصاني باثْؤُرةٍ ... الا لِأُمّيَ إنْ لم افعَلِ الهَبَلُ
٣ ــ وقد تركتُ ابا قيسٍ بمُعْتَرَكٍ ... يدعو صَداهُ وفيه الرُّمْحُ معتدِلُ

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com